ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1165
2023/10/31

# الملحف الثقافي

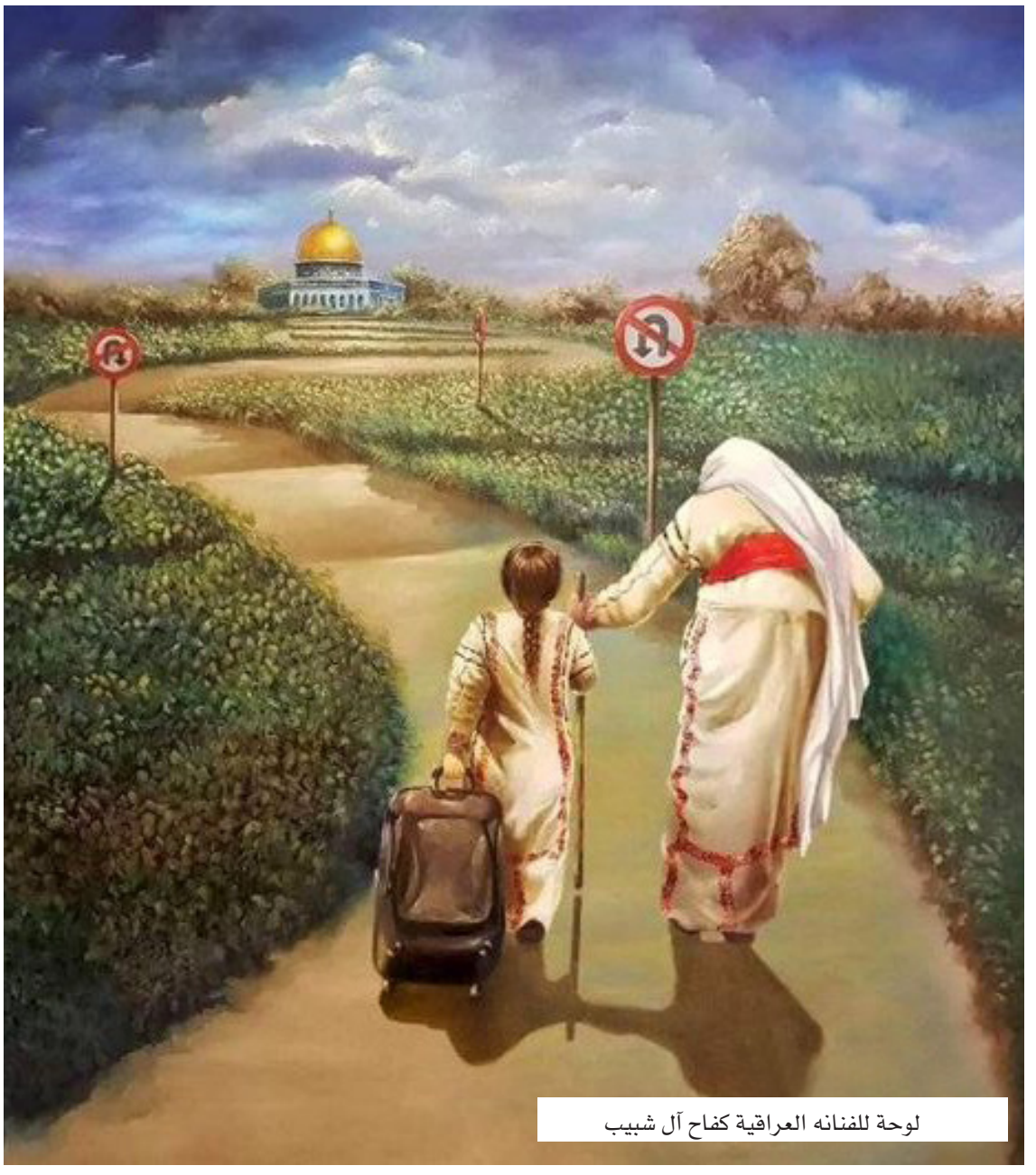
لوحة للفنانه العراقية كفاح آل شبيب

ملف العدد

# الانتماء في الإبداع وعي الحياة

## أول الكلام

### عن الانتماء..

▪ ديب علي حسن

منذ أن كان الإنسان العاقل والمفكر ،كان الانتماء إلى الأرض أو القبيلة أو المدينة ..

فما من أحد خارج الانتماء ولكن انتماء عن انتماء يختلف ..فمن ينتم إلى الإنسانية ببعدها الحضاري والقيمي غير الذي ينتمي إلى شرورها وآثامها ..

ومن ينتم إلى الوطن غير الذي ينتمي إلى سراب مخادع ..

في الأدب العربي منذ أن كان نجد ملامح الانتماء، فالشاعر الجاهلي الـذي وقـف على الأطـلال بكى واستبكى، لم يكن يبكي حجارة وتراباً إنما يبكي المكان الذي كان فيه الوجود الإنساني الذي ينتمي إليه هذا الشاعر..

ألم يقل أحدهم:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا ..

وأي إبداع أو فن أو علم لا ينتمي، فهو مجرد هباب تذروه نسمة واحدة.

بل يمكن القول إنـه يمـوت فـور خروجه إلـى دائرة الضوء..

الانتماء الوطني والقومي والإنساني بكل معاني المصطلح يعني أنـك ابـن الحياة تدافع عن جمالها وقيمتها..

تدافع عن كرامة الإنسان أي إنسان ..

الانتماء جوهر الإبداع في ألوانه كافة، واليوم ونحن نتعرض للغزو الثقافي بكل ألوانه لاعاصم لنا ولثقافتنا ووجودنا وقدرتنا على الاستمرار إلا الانتماء الوطني والإنساني بمعناه القيمي والحضاري.

وعندما يكون انتماؤك للوطن تحصن حدوده وتشد بنيانه الثقافي والقيمي ولا يمكن لأي ريح عاتية أن تقتلعك من أرضك..

الانتماء في أدب حليم بركات

قراءات في اللامنتمي

في مواجهة التلاشي

يا أصدقاء الحياة

الثقافة في أسبوع

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

## معرض

# جداريات توثق تاريخ دمشق

ترك ارتداء والده للطربوش أثـراً كـبـيراً لـدى الفنان التشكيلي نذير بارودي الذي كرس جل حياته لرسم وتصوير البيئة الشامية التي عشقها بكل تفاصيلها، ففي كل ركـن مـن أركـان منزله هـنـاك قـصـة جـسـدهـا في لوحة رصدت تفاصيل الحياة اليومية ليس لعائلته فقط وإنما لأهالي دمشق كافة.

وفي تصريح له بين بارودي أنه بدأ بممارسة هوايته في الرسم بسن مبكرة بعد أن حظي بتشجيع ودعم من عائلته ومعلميه في المدرسة، حيث كانت رسوماته تنال الإعجاب والتقدير من كل محيطه، مشيراً إلى أنه رسم أكثر من ١٠٠٠ لوحة بورتريه بقلم الفحم لينتقل بعد ذلك إلى تطوير أدواته واستخدام الألوان الزيتية في لوحاته المفعمة بالحياة لإضفاء البهجة والجمال عليها.

ولفت بارودي إلى أن مدينة دمشق استهوته بكل تفاصيلها بدءاً من المنازل وانتهاء بالحارات والأحياء والأسواق الشعبية، حيث رسم أحياء القيمرية وساروجة وباب توما وباب سريجة وحارة الزيتون وغيرها، موضحاً أن النضج الحقيقي لديه بدأ في سن الأربعين عندما حمل على عاتقه مسؤولية وطنية لتوثيق حارات دمشق وأحيائها القديمة ومعالمها الجميلة برسوماته، كما حازت الحرف القديمة التي اشتهرت بها مدينة دمشق كالمبيض والطرابيشي والحـلاق والسكافي والنجار والحمصاني والفاكهاني وبياع الصبار جانباً مهماً في لوحاته، حيث رسمها بأدق التفاصيل للتعريف بها وحفظها من الاندثار.

وأشار بارودي إلى أن حصيلته من اللوحات على مدى سنوات طويلة كانت أكثر من ٧٠٠ لوحة رسم فيها البيوت الدمشقية ذات الفناء الواسع الذي تحيط به الغرف من كل جانب، وتتوسطه بحرة رخامية تحيط بها النباتات والأزهـار والأشجار، كما جسد في لوحاته مظاهر الفرح في المناسبات والأعياد وكان لاطلاعه على تاريخ مدينة دمشق أثر كبير في توثيق الكنائس والجوامع القريبة والمتلاصقة من بعضها البعض في المدينة، إضافة إلى أنه رسم أكثر من ٢٠٠ لوحة جسد فيها الطبيعة الصامتة و(السيران).

وقال بارودي: «إن أبرز اللوحات التي رسمها، الحكواتي، حيث وثق فيها الجلسات الدمشقية معتمداً في رسوماته على الألوان التي أوضحت التفاصيل الصغيرة كصندوق الدنيا القديم، وقصة عبلة وعنتر، وبين فيها اعتماد العمارة الدمشقية على الزجاج المعشق والسقف العجمي المزخرف الذي اشتهرت به مدينة دمشق».

وأضـاف: أنـه استطاع نقل الـتراث والتعريف بمدينته عبر لوحاته التي انتشرت في كل أصقاع العالم، لافتاً إلى أنه يشارك في المعارض الداخلية والخارجية للتعريف بأعماله التي باتت تحظى بإقبال كبير لكونها قريبة من الناس وتنقل طريقة العيش في دمشق.

## ندوة

# القدود الحلبية عنصر تراثي لا مادي

نظمت الأمانة السورية للتنمية ورشة عمل حول القدود الحلبية كعنصر من عناصر التراث الثقافي اللامادي التي أدرجتها منظمة اليونيسكو على لائحة التراث الإنساني وذلك في فندق سفير حمص.

وتضمنت الورشة التي شارك فيها عدد من المهتمين بالتراث اللامادي والمعنيين بالشأن الثقافي والفني بحمص حواراً تفاعلياً مع أعضاء ومؤسسي فرقة تراثنا هويتنا تم خلاله التركيز على المصطلحات والتعريفات التي تختص بالقدود الحلبية، والقد لغة وتاريخاً وانتماء إلى القوالب الغنائية العربية، لكون القد عنصراً تراثياً ثقافياً لامادياً سجل على قوائم منظمة اليونيسكو.

وتم خلال الورشة تسليط الضوء على دور وعمل الأمانة السورية للتنمية في صون هذا التراث وإعادة تفعيله وإحيائه وعرض فيلم قصير عن القدود الحلبية.

وفي تصريح له بين رافد العلي من فريق الأمانة السورية للتنمية بحمص أن الورشة تندرج ضمن خطة صون التراث اللامادي (عنصر القدود الحلبية) وهي منصة تجمع المهتمين بالقدود الحلبية مع فريق متخصص من مدينة حلب ليتم تبادل الأفكار فيما بينهم وتعزيز المعرفة المتعلقة بهذا المجال.

المديرة الإدارية بفرقة تراثنا هويتنا وعضو لجنة التراث اللامادي بمديرية ثقافة حلب الصيدلانية منى تاجو قالت: «إن التراث اللامادي هو شخصيتنا وهويتنا ومن واجبنا الحفاظ عليه»، بينما أشار أحد مؤسسي فرقة تراثنا هويتنا المهندس الشاعر محمد بشير دحدوح إلى أهمية الحفاظ على القدود الحلبية والعمل على إعادة إحيائها لتكون فاعلة في كل الفعاليات الأدبية والفنية التي تسعى إلى ترسيخ الهوية الثقافية الوطنية.

ولفت رئيس فرع نقابة الفنانين بحمص أمين رومية إلى أن فن القدود فن إنساني قديم، وهو أغنية شعبية ابتكرها الإنسان السوري ليعبر من خلالها عن أفكاره.

## كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

ابراهيم عباس ياسين
بادر سيف
خالد حاج عثمان
رفاه الدروبي
رجاء شعبان
رمضان حينوني
علم عبد اللطيف
علي حبيب
غسان شمه
سامر منصور
ليزا خضر
مها محمد
نصر ابراهيم
وفاء يونس

# الانتماء في الإبداع ليس ترفاً

رفاه الدروبي

يلعب الانتماء دوراً كبيراً على مستوى الإبداع، وتوحيد الاتجاهات سواء الكاتب أو الفنان أو الموسيقي والفنان التشكيلي، ويكون له أوجه عديدة منها الانتماء للأسرة أو المجتمع وغيرها.

فالانتماء ليس ترفاً، بل التزام بين أفراد ومجتمعات يعيشون بها وحالة شعور الإنسان للانضمام إلى مجموعة، عبارة عن علاقة شخصيّة حسيّة إيجابيّة، يبنيها الفرد مع أشخاص آخرين أو مجموعة ما.

لكن أجمل أنواعها الانتماء للوطن بأن نكون جنوداً أوفياء له بأفكارنا الاستثنائية، ومواهبنا وإبداعاتنا المتألقة، ونهجنا المستمر في التطوير والرقي، والشعور النابض بالانضمام إليه، وتكوين علاقة إيجابية، قوية تربطنا به والوصول إلى أعلى درجات الإخلاص.

عزة وفخار

رئيس فرع طرطوس لاتحاد الكتّاب العرب منذر يحيى عيسى يعتبر الانتماء والهوية الوطنية؛ أهم مايُميّز الأمم المُتحضّرة والراقية والأصيلة والممتلكة لما تباهي به.

ورأى بأنّ العناية باللغة من أهمّ وسائل زيادة الانتماء للوطن، والدفاع عنه إذا ما تعرّض لخطر داخلي أو خارجي، كما يتوجب عليهم حماية النشيد الوطني، والعلم والحفاظ عليهما أحد أهم سمات الانتماء والهوية الوطنية، إضافة إلى المساهمة في الحفاظ على الممتلكات العامة، وحماية البيئة والآثار والحفريات كتراث مادي يلعب دوراً في زيادة الانتماء والتراث المادي.

رئيس اتحاد الكتاب فرع طرطوس لفت بأنّ المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية تلعب دوراً كبيراً في إبراز الانتماء والولاء للوطن، ولايمكن إغفال أهميّة الشعر ودوره في تصعيد العاطفة الوطنية والمشاعر الصادقة المعبّرة عن دقة الانتماء ونزاهته. منوّهاً بأن ترديد النشيد الوطني يجعل المواطن الحق يشعر بالعزة والفخار.

كما ذكر الكاتب عيسى بأنّ الكثير من القصائد أثارت مشاعر وحماس الناس خلال الحروب، طارحاً عدداً من الشعراء من تركوا بصمة خالدة في تنمية الشعور الوطني منهم: سليمان العيسى و صابر فلحوط و عمر أبو ريشة وسعيد عقل والرحابنة والجواهري والسياب وعبد الوهاب البياتي ولن ننسى الراحلين عبد الكريم الكرمي ومحمود درويش وسميح القاسم، وجلّهم ساهموا مع غيرهم من الشعراء في تأجيج الروح الوطنية والانتماء بقصائدهم فلحنت بعضها وأنشدها المطربون بأحلى الأنغام، لا سيّما ذات الطابع الوطني الخاص.

كما شدّد على مدى حاجتنا في المرحلة الراهنة إلى التأكيد على الانتماء الوطني نتيجة مواجهتنا لأسس الليبرالية الجديدة ومحاولة طرح مفاهيم خارجة عن عادات وتقاليد الشعوب، وتكافح بفطرة الإنسان السليمة، وتعاليم الأديان السماوية، وتروج لأفكارها هادفة إلى طمس الهوية الوطنية، وإضعاف ذات الشعور، ما يُسهّل على القوى الكبرى السيطرة على الشعوب واستغلال ثرواتها لصالحها، ويخلق أجيالاً لا تهمها أرضها وأوطانها ورموزها، مُبيّناً بأنّ الانتماء وأولوية التمسك به تعبير عن أصالة الارتباط بالتراب وحمايته.

واقتطف مقطعاً من قصيدة له عنوانها:

«ويـــرحل الشـــــهداء»

إلى الموتِ
يُسْرِعُ الشهداءْ
لا ينتظرونُ الدموعَ
ولا الكفنْ
لا يرغبونَ
بإعلان الموتِ
ولا يحبونَ
ضجيجَ المراسمْ...
يمضونَ
فتضيءُ الفلواتُ إثرَ خُطاهم....
عندما يعبرونَ
يدقونَ بابَ الغيمِ
وعلى طريقتهمِ
يدخلونَ قدسَ الجنانْ...
وقد ترتفعُ أصواتُ الملائكةِ
ترافقُ الرحيلَ كالظلالِ
ترسمُ ملامحَ فرحٍ
لوطنٍ جريحِ
سيقومُ من الرمادِ..
حالة حسيّة

ورأت الشاعرة أسمهان حلواني بأنّ الانتماء حالة شعورية يشعر فيها الفرد بحس الانضمام للآخر وحسية عالية تربط الإنسان بما يشعر أنّه ينتمي إليه سواء كان مكاناً أو أسرة أو جماعة، وبالتالي الوطن وتتمايز العلاقة وتتدرّج حتى أعلى درجات التمازج والإخلاص الكلي، لافتةً بأنّ الأحاسيس الصادقة تظهر جلية في روح الأديب سواء أكان شاعراً أم قاصاً أو روائياً وحتى الفنان التشكيلي.

كما أوضحت الشاعرة حلواني بأنّ شريحة المبدعين تتمتع بحالة من الرهافة العالية الموثقة الارتباط بمفارقة عجيبة مع الحس الانتمائي فيصبح الحدث والمتغير مؤثراً عالياً يرفع من الحالة الشعورية والنتاجية ويسيطر على الفكرة والمنطلق الأدبي الإبداعي فنرى أنّ السمة الأدبية تختلف من مكان لآخر حسب المشرب الفكري الثقافي والمؤسساتي والانتمائي للأديب مايؤدي إلى شحن الكاتب أعماله فتحمل مضامينها مفاعيل التعلق في الفعل والموقف من خلال السرد أو حتى الصورة الشعورية والكلمة وتتعاقد جميعاً لتوثّق الحدث والتقلبات والمتغيرات السارية في المجتمع عبر الأزمنة.

كما أردفت بأنّ الانتماء موروث يظهر عند الإنسان منذ حالته الجنينية و الطفولية ليتبلور عبر الزمن ويصبح الوطن أماً ينتمي لحضنها أبناء المكان، ولأنّ الفن و الأدب مرآة العصور وجدنا الأعمال مُوشّاة سواء بالواضح أو المتضمن بالرابط الوثيق مع الوطن لتعتمر الكوفية على سبيل المثال جبين الأقصى، مُعبّرةً عن عروبته، وترى بحرات

الرخام و الياسمين لتشمّ رائحة دمشق.

ثم انتقلت خلال حديثها بأنّ الأهازيج والكلمات الحماسية والدفاع عن الأوطان وقضاياها والمقاومة للاحتلال واغتصاب الحريات وحقوق الإنسان بالعيش الكريم، إضافة إلى أنسجة الروايات والقصص وحبكتها والأفكار المطروحة خلال مجريات أحداثها وتعبيرها عن الخلجات والمشاعر.

منبع الروح

التشكيلي خالد الحجار بيّن أنّ الانتماء في الإبداع مهم، ويأتي طرحه في وقته المناسب لما نعيشه من ظروف حالية تؤكد على ضرورة هوية الانتماء والتمسُّك به، وخاصة انتماءنا للوطن يعتبر منبع روحنا واستمداد بقائنا وطريق مستقبلنا، مشيراً بأنّه كفنان تشكيلي ومصمم جرافيك من الضروري تعزيز شعورنا بالانتماء وإظهاره في الأعمال الفنية أو في تصاميمنا وخاصة شعورنا المقاوم.. فمعظم الفنانين التشكيليين راعوا الناحية جيداً، كما أنّ اتحادهم كان له دورٌ بارزٌ من خلال تنظيم المعارض الفنية رغم الظروف القاسية مايدلُّ على تمسكهم بوطنهم، مُقدّماً مثالاً من أعماله وتصاميمه منهم الطابع البريدي لليوم الوطني عيد الجلاء لعدة سنوات في الجمهورية العربية السورية، والتصميم عنوان الانتماء واستمداد الحياة وما ينطبق في التشكيل يسري تماماً على باقي الفنون من شعر وموسيقا ودراما ليبقى وطننا أملنا ومستقبلنا.

## بقعة حبر

### ابتسامةُ مقاوم

**رنا بدري سلوم**

«سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى، فإمّا حياة تسرّ الصديق وإمّا مماتٌ يغيظ العدى».. حمل الشاعر عبد الرحيم محمود روحه بعد أن كتب «قصيدة الشهيد»، ترك تدريس اللغة العربية والتحق بصفوف جيش الإنقاذ وصار شهيداً عام ١٩٤٧، فكتب بدمه ما خطّه قلمه، ليس الشعراء المقاومون وحدهم من يقرنون القول بالفعل، ها هم أطفال غزّة اليوم بالمئات يؤكدون أقوالهم باستشهادهم، كقصة الطفلة الفلسطينية التي تحمل أختها الرضيعة على كرسيّها الهزّاز مع أقرانها الصغيرات، تحملن الكرسي وتجبن مشفى قطاع غزّة، وتهتفن،» لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله».. والطفل محمد الذي سُئل ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر، أجاب بعد تنهيدة موجعة نحن أطفال لا نكبر، نموت باكراً فداء لفلسطين.. وحده الانتماء والتجذّر في الأرض يجعل من الشهادة ريّها الوحيد، منهج لا يسلكه إلا أقوياء النفوس لا يساومون على قضيّة وجودهم وحقهم في الحريّة والحياة. الأطفال هم الفئة المستهدفة من صواريخ العدو الغاشم التي مزقتهم وجعلتهم يفترشون ممرات المشافي ينزفون الحياة على طريقتهم، ويعيشون طقوس الحرب بأسلوب طفولي، يواجهون الموت بابتسامة عريضة، يكتبون اسمهم على أذرعهم كي يتعرّف عليهم ذووهم عند ارتقائهم، أطفال بعمر الورود يتحمّلون مآسي الحرب اليُتم الجوع العطش الخوف والقلق، يرتجفون أمام أهوال دمار أمنِهم وشتات شملهم، وبالرغم من ذلك كله يمسحون دمعهم ويرفعون إشارة النصر بأصابعهم الغضّة، يتصوّرون وهم بين الأنقاض من ثم يبتسمون، ابتسامة تغيظ العدى فتنتصر.

# في رحاب تجربة حسن إبراهيم سمعون الشعريّة

**سامر خالد منصور**

المجموعات الشعرية التي خطها الشاعر حسن إبراهيم سمعون تستحضر الحضارة بكل أبعادها ، بإنسانها والذي يتجلى بصوت الشاعر الذي يأخذ دور الراوي في عديدٍ من القصائد، ويطالعنا بين الحين والآخر بمرويات بعضها له ملامح ملحمية تراجيدية، و يُجلّي لنا قيم هذا الإنسان، و يحدثنا عن جغرافية المكان التي تتكون فيها جغرافيا الروح.

- اللغة :

كتبت القصائد بلغة حميمية دافئة ككفّ قديس تُواسي وَجنَةَ مُذنب، فجاءت بصيغة العتب حيناً والرجاء والتمني حيناً آخر، و جاءت بنبرة حازمة واثقة تنمُ عن الإباء في أحيان أخرى.

وهذا التنوع في أساليب اللغة العربية كما هو معروف، يُعطي القصائد رشاقةً ويجعلها تخفف من نمطيتها، كما كتبت القصائد بلغةٍ مُكتنزة بعبق الماضي الحضاري السوري من حيث التراكيب المسبوكة بعناية والألفاظ الجزلة التي تعبر عن بلاغة و وعي وخيال الإنسان السوري، جاءت التعابير اللغوية مُجللة بسحرية الأساطير مُستنبطة مما جاد به الخيال والواقع السوري من نزعة نحو العلوم والمثالية فنرى عشتار تميس بين سطوره تارة ونرى عدداً من الآلهة تختالُ تارةً أخرى، خاصة تلك المرتبطة بالخصب والحياة والبعث، استحضرها ليؤكد دورة الفينيق، استحضرها لتُضفي سَرمديتها وجلالها مُؤكداً عبر ذلك القيامة السورية وأن سورية مُعتادةٌ على الانبعاث من تحت الرماد.

١ .. صَعبٌ أن تُمسكَ أقلامي
والشّيءُ الأوحدُ في يُمناكَ عَصاً
تَكسرُ خابيةَ الألوانْ
صَعبٌ أن تَعْزِفَ أحلامي
فالقوسُ بكفّكَ سَيفٌ
ويُذبُحُ في جِيْدِ كَمانْ
والأصعبُ أن تَرقُصَ مِثلي
فالحِبرُ العاقلُ في قَلمي

٢

يَنحتُ شعراً مَجنوناً
ليؤنسنَ ألسنةَ الحيطانْ
فأنا مِسمارٌ سوريٌ
لَثمَ الصّخرَ فأنطقهُ
وتجلّى حريةً سُلطاناً
يَنفذُ من أقطارِ الدُنيا
لِيَرُشّ الفجرَ على الشُطآنْ

- الاعتداد بالتراث :

تجلى الاعتداد بالتراث عبر الاعتداد بالشخصيات التي أثرت التراث السوري والعربي، على سبيل المثال، سواء كانت حقيقية أم مُتخيلة، مثال ذلك ما ورد عن الشاعر المَعري وذكره لـ..زينون، وباخوس و قدموس، وذكره لعددٍ من الآلهة السورية القديمة التي كان السوريون ينسبون لها الفضل في تعليمهم أشياء كثيرة تجسد البُعد الحضاري السوري المُتقدّم، كما في قصيدة نفخة عشتار على سبيل المثال التي ذكر فيها كلاً من إله المطر و إنانا وعشتار وهما من تجليات آلهة الخصب والأنوثة في المثيولوجية السورية، كما لم تغب مفردات هذا العصر عن القصائد أيضاً، مثال ذلك ذكره لـ التعدين ،الهمبورغر و الكولا في معرض انتقاده للعولمة والثقافة الاستهلاكية.

جاء في قصيدة ثورة الرؤيا

لم أستطعْ أن أنضوي
وأبَتْ حُروفي الانحشارَ بأسطرٍ
تَعلو ثناياها نُقاطٌ من هُلامْ
كلُ الفطور تكاثرتْ
في ظلّها الخشبي تبغي موطناً
إلا أنا !
فأنا سليلُ حكاية البازلتِ ..
والمسمارِ في منحوتة الرؤيا ..

١ قصيدة دَنّ أوغاريت

٣

تَحتُ الجبسَ في وثَن الظلامْ
فنقاطُها النُوريّةُ العَذراءُ من
أكوامِ ذاكرةٍ قديمٌ عَهدُها
قدمَ الضّياءْ
نَهلتْ شموسَ الحرفِ من
لوحي العتيقِ وطينِه
ثَملَتْ بهِ ..فتَجرأتْ
أن تلجمَ التّاريخَ في سَكراتِه
وتَلمّ من عَرَقِ السّنابلِ فِتيةً
بشقوقِ كفِّ الحاصداتِ تباركوا
وتعاهدوا
للبوحِ في آذارَ عن فجرٍ عِشاءُ رجالِه
سرٌ بكأسِ الهنْدَباءْ

تمثل هذه القصيدة صرخة في وجه محاولات الغرب الاستعماري لاستعمالنا كأدوات في أجنداته والتي فشلت، ففي قول الشاعر: كل الفطور تكاثرت في ظلها الخشبي تعبير عن الجمود والمحدودية و عن عدم اكتمال الكيان فهنا المقصود أنواع الفطر المُتطفلة صغيرة وضعيفة الجذور، لذلك هي تنمو على جذوع الأشجار وتسرق نسغها، وهذا حال من ارتضى أن يكون
من المرتزقة والعملاء وأداتهم في تخريب وطنه، ومن جهةٍ أخرى نرى في قوله وتَلمّ من عَرَقِ السّنابلِ فِتيةً بشقوقِ كفِّ الحاصداتِ تباركوا وتعاهدوا مقدار تماهي الإنسان السوري الأصيل مع الأرض .. تماهي الذكور مع الإناث والأجيال الكبيرة مع الأجيال الصاعدة ، في عهد الانتماء حضاري الجذر.

- نلاحظ أن الشاعر سمعون في كثيرٍ من قصائدهِ عَمِدَ إلى الجمع بين المادي والمعنوي في تشكيله الشعري لرسم عالمٍ مُتكاملٍ له روحه المُتأصلة فيه.

٤

فأنا سليل حكاية البازلت والمسمار في منحوتة الرؤيا تحت الجبس في وثن الظلام، إنها روحنة المكان وتمكين الروح إن صح التعبير أو بمعنى أدق توطين الروح.

لمحة عن أعماله :

له عدد من الدواوين الشعرية منها: إمضاء على الشاهد مقامات التاسوعاء، قصار الصور، وله عدد من الدواوين المشتركة مع بعض الشعراء العرب والسوريون في الداخل والمهجر ومنها : رثاية النور، و مدي المواويل في تأبين الأديب طلعت سقيرق.

- يُذكر ان الشاعر حسن سمعون هو مؤسس وصاحب مشروع الديوان السوري المفتوح الذي صدر الجزء الأول منه عام ٢٠١٦ وضم شعراء من جنسيات عربية متعددة كتبت لسورية.

# الشاعر العربي و مسألة الانتماء والالتزام

د. رمضان حينوني - الجزائر

من موقع بوابتي يطل علينا الدكتور رمضان حينوني ليكتب عن الشاعر العربي والانتماء.

مذ ربط الإنسان القديم الشعر بالجن، كان في حقيقة الأمر يعبر عن اختلاف الشاعر عن غيره من البشر، ذلك الاختلاف الذي يضعه في عالم معنوي قائم بذاته ينجم عنه نظم كلام يحتاج إلى معرفة وإدراك وخبرة لفك شيفراته وفهم أبعاده، فبدا الشاعر وكأنه إنسان فوق البشر من حيث قوة البيان والقدرة على تأليف المعاني والصور تفوق تلك التي يملكها عامة الناس، ومن ثم نظر للشاعر على أنه إنسان من طينة مميزة، ونظر هو إلى الآخرين على أنهم لا يرتفعون دائماً إلى مستوى فهم ما يريد.

ويشترك الشاعر- إلى حد ما- مع المثقف النخبوي في هذه الوضعية، من حيث علاقته بالآخرين، وإن كان الشاعر مطالباً بالإبداع أكثر من المثقف، وإنتاجه ليس واعياً دائماً أو ليس مرتبطاً بعالم الحقيقة في كل حال، ومن هنا كان الأديب أكثر قدرة على التأثر بأحداث المجتمع وتقلباته، وأكثر قدرة على مواجهة ما تأتي به تلك التقلبات من فوائد أو مضار، مع اختلاف في درجة ذلك بين أديب وآخر.

والأديب إذ ينطلق من ذاته في رؤيته للعالم المحيط به، فإن عوامل كثيرة تتدخل في تشكيل تلك الرؤية ومستقبلها، من ذلك تكوينه النفسي والثقافي، والتجربة الحياتية التي تنميها جملة من العوامل الاجتماعية والدينية والسياسية، فتبلورها في مجموعة سلوكات ومبادئ تترجم إبداعًا، يخلص فيه تارة للجماعة على حساب ذاته، وتارة يعطي ذاته الأولوية وإن حدث الصدام بينه وبين الجماعة التي ينتمي إليها، والتي تريده صوتها وصورتها في مقابل الآخرين، دون أن تتفهم خصوصياته وأبعاد تفكيره التي مهما تكن علاقته بالجماعة، فإن لها تميزها واستقلاليتها اللذين يرسمان اتجاهها في التعبير، ورؤيتها للأمور المتعلقة بالإنسان ومحيطه الاجتماعي.

والأدباء كغيرهم من النماذج البشرية لا يتعاملون مع الواقع المفروض أو الانتماء القسري بدرجات متساوية، ذلك أن» بعضهم يستكين إلى تلك الظروف والانتماءات، وبعضهم يرى في جوانب منها ما يعوق تقدّمه، فيبحث عن الخلاص بتصور الحلّ، وإقرانه بالعمل اللازم لإزاحة ما يعوق التقدم، وفي أثناء ذلك يحدث الجدل، فيكون حاداً بالصراع أو هادئاً بالحوار، وفي كلتا الحالتين تظهر إرادة الإنسان القادر على التدخل في سير الظروف، مسلّحاً بالمعرفة البسيطة أو العميقة للقوانين التي تحكم الطبيعة والوجود الإنساني معاً» (١). وفي كل حال من هذه الأحوال يسعى الأديب إلى تبرير اتجاهه، والدفاع عن موقفه في وجه الانتقادات التي يتعرض إليها من ذوي الاتجاهات الأخرى.

من هنا تطرح قضية الانتماء والالتزام عند حديثنا عن موقف الأدباء مما يحدث في محيطهم العام متعدد الأوجه، ذلك الموقف الذي يتعرض لكثير من الضغوط الخارجة عن نطاق الذات، فيحاول الأديب التكيف مع الواقع آخذًا بعين الاعتبار منطق الربح والخسارة، سواء على المستوى الشخصي أو المستوى الاجتماعي.. غير أن المسألة غاية في الصعوبة خاصة في أزمنة الأزمات التي تعصف بالمجتمع، أين يجد نفسه بين مطرقة مبادئه التي تربى عليها أو التي اكتسبها عبر ثقافة تراكمية، وبين سندان التوجهات السياسية والاجتماعية التي تدعوه إلى اتخاذ موقف معين، أو أكثر من ذلك تدعوه إلى الدفاع عن وجهات نظر السلطة التي يحتمي بها، سواء كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية، حتى وإن كانت درجة الاقتناع بالمهمة المنوطة به أحياناً ضعيفة.

غير أن هذا الانتماء لا ينتفي بالضرورة إذا عارض الفرد رغبات الجماعة أو توجهاتها، بل هو قابل لأن يكون انتماء شكلياً في مقابل الانتماء الجوهري الذي يرتقي إلى مرتبة الولاء، كما يرى الدكتور فرج عبد القادر طه، إذ إن « الفرد قد يكون عضواً في جماعة، ومحسوباً عليها إلاّ أنه لا يرتضي معاييرها، ولا يتوحد بها، ولا يشاركها ميولها واهتماماتها، فهو ينتمي إليها شكلاً، وليس قلباً، وفي هذه الحالة يصبح منتمياً إلى هذه الجماعة بينما يكون ولاؤه... لجماعة أخرى أو لزعيم آخر أو لمبدأ مغاير للجماعة المنتمي إليها»(٢) . ولا يصل الأمر إلى هذه الدرجة عادة إلا حينما يتعرض الأديب إلى الاضطهاد الذي لا يلجأ فيه فقط « إلى أساليب العنف الظاهر بل إلى أساليب دقيقة جداً تهدف إلى عزل الكاتب وتهديم شخصيته وإسكاته»(٣)

أما الحلقة الوسط بين الولاء والانتماء الشكلي فقد يكون ما يمكن تسميته بالولاء الواعي، ذلك الذي تتسع فيه دائرة الالتزام « بحيث تترك للكاتب الحق والحرية في تحديد قضايا المجتمع المهمة من زاويته الخاصة»(٤) ، حتى وإن كانت متفقة أحياناً وتوجهات السلطة ومؤسساتها؛ ذلك أن المثقف بوجه عام- ومهما كانت علاقته بالسلطة - ليس مسخراً ليكون معارضاً أبدياً لها ولا بوقاً يوصل صوتها، فقد يلتقي طرحه مع طرحها حيناً من الدهر، ولكنه لا يستمر على ذلك طويلاً نتيجة للتغيرات والتقلبات التي تعتري السلطة، ويمكن اعتبار مثل هذه العلاقة بين هذين الطرفين امتحاناً حاسماً لمدى استقلالية المثقف ونزاهة توجهه.

والاضطراب في الانتماء ليس سمة سلبية بالضرورة؛ بل قد يعد بحثاً عن الحرية أو التحرر من المعيقات التي تحول دون اطمئنان الفرد إلى الوسط الذي يعيش فيه، ونذهب في هذا مع الدكتور فاروق أحمد اسليم الذي يرى» أن تنوع الانتماء هو نتاج جدل الإنسان، وهو يبحث عن الوسائل التي ترقى به نحو التحرر، والانفلات من الظروف التي تعوق تطوره»(٥) ، ويدل ذلك على الدور الذي يلعبه وعي الفرد، والمثقف على وجه الخصوص، في توجيه الانتماء بأشكاله المتعددة قبلياً أو سياسياً أو فكرياً.

أما خارج هذه الأشكال من الانتماءات، فنجد الأديب اللامنتمي الذي لا يجد طريقاً إلى لعب دور حقيقي له في الحياة العامة يعبر عن إرادته، ويعبر عن وجوده ككائن مستقل، وخصوصاً في العالم الصناعي الذي شيأ الإنسان وحوّله إلى مجرّد آلة، فاغترب عن نفسه وعن مجتمعه، وأصبح كبطل رواية هنري باربوس (الجحيم) لا يجد» طريقاً هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل «(٦).

ورغم أن الصورة التي رسمها كولن ولسن للإنسان اللامنتمي لا تنطبق بالضرورة على كل النماذج اللامنتمية، لاختلاف البيئات والمنطلقات الفكرية، إلا أنها تعبر من زاوية معينة عن طبيعة هذا النموذج الذي « يدرك ما تنهض به الحياة الإنسانية من أساس واه، والذي يشعر أن الاضطراب والفوضوية هما أعمق تجذراً من النظام الذي يؤمن به قومه»(٧) وهو بالتالي يرفض أن يكون في منظومة اجتماعية لا يرى أنها تحقق أناه الحقيقية، فهو دائم البحث عن ذاته وعالمه، ولهذا يعيش شقاء يقربه في نظر الآخرين إلى المجنون، مثل ما حدث لـ(فان كوخ) الذي انتهى به المطاف إلى الانتحار.

وفي كل هذه الحالات المرصودة المتعلقة بالانتماء واللاانتماء، لا نجد الفرد في كامل الاطمئنان إلى علاقته مع الآخرين، فمهما تنازل عن بعض قيمه ليتأقلم فهو يظل مدركا لخلل نسبي تتفاوت درجته في تلك العلاقة، وذلك أمر طبيعي إذا علمنا أن الذات لا ترتبط بالقوانين والضوابط التي نجدها في المجتمع، وعليه فإن الحرية التي تريدها الذات لا بد أن تواجهها معوقات يفرضها النظام المسير للجماعة الإنسانية، فينجم عن ذلك عدم التطابق بين الطرفين يتمظهر في شكل ما من أشكال التعبير الانتقادي لدى الأدباء، كما لدى غيرهم ممن يستخدمون المنابر التعبيرية المختلفة.

وبناء على ما سبق، نجد عبر التاريخ العربي والإنساني نماذج متباينة لشعراء اتخذوا مواقف معينة مما يجري في محيطهم المضطرب تحت وطأة الأعراف والقوانين، أو تحت وقع القلاقل والحروب والفتن وغيرها، مع ما يترتب عن ذلك من ثمن يدفعه الأديب، أو مغنم يحظى به مقابل ذلك، بصرف النظر عما إذا كان المغرم والمغنم مقصودين أم لا .تجذراً في إنسانيتها، وأشد حساسية في نشدانها لمثل أعلى، يخلق لديها نوعاً من التوازن في عالم كاد أن يكون مستغلقاً بسبب الصراعات عن الحمى»(١٠).

# الانتماء في أدب حليم بركات

في كتابه المهم أدب المقاومة يقدم الدكتور غالي شكري قراءات في الانتماء ويقف عند رواية ستة أيام للراحل حليم بركات ويرى أنه يطرح قضية الانتماء في حياة هذا الجيل وقد سبق لنجيب محفوظ ان ناقش نفس القضية في الثلاثية أعني قضية(كمال عبد الجواد) وخرج من المناقشة بأن أزمة الانتماء في هذا المجتمع هي الحرية وها هو ذا حليم بركات يضيف عنصرًا جديدًا إلى الأزمة هو التخلف الحضاري.

والحق أن أزمة الحرية ومأساة التخلف الحضاري في المنطقة العربية من أخطر العوامل الصانعة لمشكلة المنتمي في بلادنا فالفروق الأساسية بيننا وبين الغرب في الوقت الراهن أننا ورثنا مرحلتنا الحضارية المعاصرة من أحضان التخلف الرهيب عن ركب الحضارة العالمي والتقاليد غير الديمقراطية في أسلوب الحكم فكان الانتماء إلى النظريات الاجتماعية والحلول الاقتصادية والسياسية أمراً لا مفر منه أمام الضمير العربي وكان الانتماء مجرد أمنية تمليها الظروف السيئة على الوجدانات المرهقة أما في بلاد الغرب فالعكس هو الصحيح :الموقف الأصلي هو اللانتماء أما الانتماء فهو مجرد أمنية يمليها الحنين على الوجدانات المعذبة لذلك كان نجيب محفوظ في منتهى الصدق الفني والإخلاص للحقيقة الماثلة حين جعل أزمة كمال عبد الجواد تنتهي بالانتماء إلى الثورة الأبدية بالانحياز إلى صدى كلمات ابن شقيقته أحمد شوكت.

أما حليم بركات فقد وضع شخصيته الرئيسية (سهيل) في اتون الأزمة في قلب المحنة في اللحظة الحاسمة من تاريخ المأساة.

إن سهيل احد أبناء قرية(دير البحر) التي أنذرها اليهود بالاستسلام خلال أسبوع والا تلاشت نهائياً مع رياح الموت والدمار وتبدو أهمية الزمان والمكان هنا بالغة من زاويتين:الأولى فكرية وهي أن الفنان أراد أن يستشف أعماق هذا النموذج البشري في ذروة اللحظة الحرجة والأخرى تعبيرية وهي أن البناء الروائي يخلو عادة من الحواشي والذيول عندما يأخذ الزمن في الاتساع والعمق لا في التراخي والطول لذلك يلجأ الكاتب إلى المونولوج الداخلي والمذكرات الشخصية والأحلام وكافة مستلزمات التعبير عن الماضي والحاضر والمستقبلي في قطاع زمني قصير المدى.

إن أهمية الزمان والمكان تخضع بصورة تلقائية للحدث الرئيسي الذي يتمدد فيهما معاً من خلال الشخصيات الثانوية والرئيسية على السواء.

والحدث في (ستة ايام) هو محنة دير البحر أمام إنذار الأعداء (ان تستسلم دير البحر أو تمسح عن وجه الأرض) كما يقول السطر الأول في الرواية هذا الحدث يتجسد في الشخصية الأولى :سهيل الذي يتمدد في داخله ومن خارجه مونولوج طويل يتشابك مع أول خيوط المأساة (الضباب المتكاثف يتصاعد ويحيط بدير البحر فيفصلها عن العالم إنها سفينة من أرض كنعان تمخر البحر لأول مرة متحدية الموت الجحيمي عند أطراف الوجود) (السفينة تواجه الموت بلا دفة رغم هذا تتحدى) (أن أمة كبيرة ستهلك).

هذا الخيط يصل بينه وبين المجتمع أو الأمة كفكرة لا تنفصل عن ذاته.

أي أن يشعر حتى النخاع بأنه مع الأرض التي نبت من ترابها فكرة واحدة لا تتجزأ وقضية الانتماء لا تبدأ من هنا انها تبدأ من تصور الفرد للمجتمع كمجموعة من الأفراد من تصور سهيل لفريد وعبد الجليل وناهدة وخالد ولمياء ويليان من حركة الفرد في المجتمع تبدأ القضية أقصد تبدأ الأزمة.

وباختيار المؤلف لمأساة فلسطين محوراً فنياً المناقشة هذه القضية نضع ايدينا على جملة اشياء.. فهو اي الفنان يلتزم تلقائياً بوجهة نظر المنتمي إلى المأساة ويشير هذا الاختيار في نفس الوقت إلى أن هذا المنتمي في أزمة.. وهذا هو الإطار الفكري للرواية :سهيل شاب فلسطيني تعرف إلى أوروبا معرفة حميمة (نذر نفسه لا يدري لأي شيء يغترب أحياناً وأحياناً يحس أن الحياة رائعة يكفي أن يكون فيها موسيقا وكتاب وامرأة ونقاش).

أما روايته طائر الحوم كما تقول الموسوعة الحرة عنها هي متفردة بالغة الرقة والحساسية، إضافة إلى مرآتها في التصدي لعدد من القضايا الشائكة التي تكاد تكون حرمة هذا عدا عن معمارها الفني الجديد والمتميز.. وبقدر ما توغل هذه الرواية في الماضي. بحيث تبدو أقرب إلى سيرة الطفولة، فإنها شديدة الحضور من الراهن، في الهموم المعاصرة، كما لا تغفل عن التنبيه لأخطار المستقبل.. لذلك ليس من السهل تضيفها ضمن العناوين السائدة، أو حصرها في إطار ضيق، إنها تذكر وبوح وتأمل، وتصل في أحيان كثيرة إلى مستوى الشعر الخالص، دون أن تنسى خطها الدرامي الذي يجعلها إحدى أبرز الروايات التي صدرت في السنوات الأخيرة..في رواية طائر الحوم يقدم لنا حليم بركات بأسلوب شاعري أخّاذ تقريراً صادقاً عن حياتهِ الشخصية، ففي رواية قصيرة ذاتية ومركزة يستعيد بركات ماضيه كله ويزودنا بوثائق أصلية عن رحلة حياة طويلة في الاقتلاع والحنين إلى الوطن والاغتراب والنفي الأبدي.

تبدأ بنقطة ارتجاع سينمائية وتنفتح على مشهد من الماضي هو» الكفرون « قرية المحرر ومسقط رأسه إذ تظهر في السماء أسراب من طيور الحوم الوديعة الرائعة الجمال تتأمل رحيلها إلى مناطق دافئة بعد حتى انتهى موسم الصيف وبدأ فصل الخريف.. وسرعان ما يتحول هذا المشهد الهادئ الجميل إلى مشهد دموي إذ يطلق الصيادون الأشرار نيران بنادقهم فجأة على الطيور البريئة فتسقط مضرجة بجراحاتها بأجنحة مترنحة ويتناثر ريشها الأبيض والأسود فوق رؤوس الأشجار ثم يسقط في النهر حيث يمتزج ماؤه بالدماء..

وأمام هذا المشهد يقف الطفل الراوي مراقباً بجزع وخوف الطيور الصامتة البريئة وهي تنتظر موتها البطيء.

بات الطفل الراوي الذي شهد عدوان الصيادين وشر الناس معذب روح الطفولة نتيجة الظلم والعدوان الممارس ضد الطيور والمنطبق على الأفراد والمجتمعات والأمم..

كما بات مشحوناً بكراهية شديدة لبشاعة هذا العالم، الذي ينذر نفسه داعية للتمرد والحرية والثورة في جميع مجالات الحياة.

وفي مشهد آخر يستعرض بركات ذكرى أليمة عصفت به وهو طفل حين يقف برعب وهول أمام فراش أبيه الذي كان يقابل الموت في آخر لحظات احتضاره، فتأتي حادثته بالغة التأثير قوية، خارقة للروح وباعثة على البكاء.. إضافة إلى وصفه لشخصية أبيه، هذه الشخصية التي طغت على الرواية وتسربت في ثناياها، تدخل وعي القارئ ولا تخرج منه.. لقد رسم صورة رائعة، صورة أب أصيل من أيام الدنيا الغابرة، مثالي، ذي وقار وذي هيبة يمضي عمره في خدمة زوجته وأولاده.

الطفل يكبر ثم يرحل إلى أميركا ويصبح أستاذاً جامعياً.. لكنه في البلد الذي هاجر إليه يعود للقاء الموت من جديد.. هذه المرة يقابل موت أمه الطاعنة في السن هذه الأم هي مريضة الآن بأكثر من سقم ومصابة فوق ذلك بالنسيان وأمست في حالة فقدان وعي دائم وتتأرجح ما بين الحياة والموت وإن كانت حادثته في موت أبيه حادة ومؤثرة إلا حتى حادثته في وصف صورة أمه المقدسة لا تقل قوة وحساسية عنها بل تنحفر بعمق في وعي القارئ وتبقى خالدة.

مقتطفات من الرواية

اسمع زهقت من هذه العيشة، شغل، نوم، قراءة الجريدة، مراقبة التلفزيون، دفع الفواتير، عزائم، طبخ، جلي، إلى متى تستمر هذه العيشة؟ ما معناها؟ متى نتمتع بما نملك؟ غداً لن نملك حياتنا.

أحلم أن نتحرر من كل المسؤوليات بما فيها العمل ونسافر إلى مختلف انحاء العالم، ولكننا لا نفعل شيئاً يستحق الذكر، ننهض صباحاً، نشرب القهوة، نقرأ الجريدة، نمضي إلى العمل فنغرق في دهاليزه وتفاصيله، ونعود مرهقين فنشرب كأساً، نأكل، نراقب التلفزيون، وننام في مقاعدنا قبل ان نذهب إلى الفراش.

حياتنا، مزيد من المآسي، من التفتت حتى يتقاتل الإنسان مع نفسه إذا لم يجد من يتقاتل معه، من الكفاح العبثي، من الانهزامات التاريخية، من الانحدار إلى مستويات من الهزال لم نكن نتصور أنه يمكن الوصول إليها.

الإنسان هو المسؤول عن إنقاذ الآلهة كما

كان مسؤولاً عن خلقهم.

أهم ما يجب أن يتعلمه الإنسان هو ان يعرف متى وكيف ولماذا يموت، هل أعرف كيف أموت في المستقبل؟ في أي مستقبل أريد أن أموت؟ هل أدرك متى يحين وقت الرحيل بأناقة وكرامة وطمأنينة؟ هل سأتمكن من الوصول إلى قرار قبل ان اجتاز ذلك الخط الفاصل فلا أعود أميز بين الخيال والواقع؟

نستهضم نحن العرب الأجنبي إذا ما حاول أن ينطق بالعربية ولو جاءت كلماته مشوهة، ونحاسب أنفسنا بقسوة فنسخر من أحدنا إذا اقترف خطأ صغيراً عندما يتكلم الإنجليزية أو الفرنسية.

لن نتوقف عن الحب، لن نترك أنفسنا تتجاوز الحدود التي لا يمكن بعدها ان نسيطر على حياتنا أتمنى ألا نترك أنفسنا

– كيف ندرك أننا نقترب من الحدود؟

– أرجو أن ندرك، لم نختر ولادتنا، على الاقل يجب أن يكون بإمكاننا أن نختار موتنا

– أرى حوارنا غريباً

– أنت على حق

– من ناحية أخرى نكبت دائماً تساؤلاتنا الحرجة

– نعيش حالة شعرية عابرة، وطالما نعيشها لا أجد ضرورة للعودة إلى الواقع والتحليل، لنتمتع بها فقط، كم مرة في العمر نفلت من دورة الواقع.

– في حالتك يجب أن تسأل كم مرة تعود إلى الواقع

– الحلم الواقع، ما الفرق بينهما، ليس هناك حدود فاصلة، ربما كلاهما وجه للحقيقة.

اعتدنا أن نسلك الطريق السليمة، نتجنب المغامرات حتى تفرض علينا فرضاً.

أكاد أصل إلى شفير البكاء، وضع محزن حقاً، بالنسبة لي، لم أبك منذ زمن بعيد، أظن أنني تجاوزت مرحلة البكاء، آه من القهر، أن تكون في حفرة رطبة وحدك ودون وعد بالخلاص شيء يمزق قلبي، أحس بألم داخل دماغي وفي صدري ومعدتي، تعبنا من الهجرة.

طالما تصر أن تجعل الكفرون (قرية الكاتب) المرجع، لن تتمكن أن تبدأ علاقات جديدة وترى نوعاً آخر من الجمال، ولو كنت منصفاً ستقودك مقارنتك إلى إعادة النظر!

هم اقتلعوا أنفسهم من مجتمعاتهم السابقة ولم يلتفتوا إلى الوراء، فأصبح بإمكانهم أن يبدؤوا أنقياء.

# غادة اليوسف .. في مواجهة التلاشي

غ – ش

لو أن غادة اليوسف كتبت عشر قصص بمستوى «المنديل» لفاقت الأديب يوسف إدريس الذي يفوق تشيخوف عملاق القصة القصيرة...

إن كتابتها من فصيلة أدب الاحتجاج، شأنها في ذلك شأن كل أديب خصص نفسه لنقد الحياة.

لأدبها القدرة على إرواء الذائقة السامية الناضجة التي هي غاية الأدب الرفيع في كل زمان ومكان.

بهذه الكلمات وصف الناقد يوسف سامي اليوسف أدب وكتابة القصة للأديبة غادة اليوسف في كتاب حمل عنوان «غادة اليوسف .. في مواجهة التلاشي»الصادر عن اتحاد الكتاب العرب ويتناول في مقالات متعددة لكتاب ونقاد عديدين أعمال غادة اليوسف التي أبحرت في عوالم القصة والشعر والنقد والبحث الاجتماعي والقانون.

صدرت للكاتبة «رفرفات» ويضم مجموعة من المقالات في الأدب والسياسة والمجتمع، وفي القصة « في العالم السفلي، على نار هادئة، أنين القاع» وفي الشعر «نبض التراب، وحدك أنت، نثريات روح، هي في المشهد الأخير» وفي النقد «ما رأه القلب» إضافة إلى «سدنة الاغتراب» وهو من أدب الرسائل، وهي رسائل متبادلة بينها وبين الناقد الفلسطيني يوسف سامي اليوسف، كما صدرت لها دراسة اجتماعية بعنوان «الأحداث الجانحون بين جحيم المجتمع ونار القانون»..

الناقد د.رضوان قضماني أشار إلى أن غادة اليوسف «جعلت من الزاوية في مواويلها ورفرفاتها جنساً إبداعياً، أي نصاً له شعريته، وفق المصطلح الياكبسوني، فهو نص يشتغل على نفسه شغلاً يُحمله وظيفة جديدة مهيمنة، هي أن يكون جميلاً.. الزاوية نص إبداعي له سماته ومواصفاته نص مفتوح على حراك مجتمعي وإبداعي له موضوعه المحدد ووظيفته التواصلية» لكم وجعي فتدبروه بأبهة البلسم على راحاتكم الصباحية، وامسحوا عن روحي هذا اليباس..

لكم وجعي فتدبروه، وتدبروا وجع هذا العالم، فأنا الثكلى المسربلة بحجب الجهل والجهالة والفقر والقهر، في فضاء قُصرت فيه المسافة بين الولادة والموت، واختلط فيه قماش القماط بقماش الكفن»...

الناقد العراقي د.حسين سرمك حسن قدم رؤية نقدي في ثلاثة من أعمال الكاتبة القصصية وهي: «في العالم السفلي، على نار هادئة، أنين القاع» مشيراً إلى المعنى الحقيقي للأدب الملتزم في أدبها «في نصوص غادة لا تلمس المعنى الحقيقي للإلتزام الذي صار مذنوماً مدحوراً الآن فحسب، ولكن توسيعاً لمفهوم الموقف المقاوم في الأدب».. كما يؤكد على مركزية الإنسان كمفهوم في قصتها «لا حياة للقصة من دون أن يكون الإنسان حاضراً في مركزها الملتهب. ولا معنى لحكاية لا ترتكز على عذابات الإنسان المقهور الذي يمسخ وجوده لحظة بعد أخرى وبلا رحمة. وهي ترى أن وحشاً مفزعاً يحاول التهام أو هو يلتهم وجود الإنسان فعلياً ويحط من كل كرامته» .. وبالتالي لا بد من مواجهة هذا التوحش بكل الطرق وفق قناعتها «مواجهة التأثيرات الأخطبوطية لهذا الوحش والتي طالت كل شيء ينبغي أن تتم بكل الوسائل مهما بدت في الظاهر بسيطة ولا غائية»...

الكاتب والباحث يوسف مصطفى لفت إلى أن غادة دمت في كتابها ما رآه القلب النقدي «قراءة بانورامية تذوقية ذات نمط إحساسي خاص يميز مجمل كتابتها بمعنى -لغة التعبير لديها- وإيقاعها الداخلي والجواني الحميمي الصادق في نبضه وإحساسه، كما كان تذوقها نذوق العارف بمواقع الجمال ومفاصله»..

## زاوية حادة..

# على هامش مئوية نزار قباني

**غسان شمة**

ما إن يذكر الشاعر نزار قباني حتى تتقدم قوافل الياسمين الشعري على عربات الإبداع الفني والفكري الذي ميز نتاج الشاعر باعتباره واحداً من أبرز الشعراء على خارطة الشعر السوري والعربي، ولا نبالغ إذا قلنا إن له حضوره الخاص على خارطة الشعر العالمي، ومن النادر أن تجد مهتماً بالأدب والشعر لا يحفظ شيئاً كثيراً أو قليلاً من شعره السلس، الذي تميز بطرح قضايا برؤية خاصة..

وبمناسبة الذكرى المئوية لمولد هذا الشاعر المبدع أقيمت العديد من الندوات والأمسيات التي حاولت مقاربة إبداعه بصور مختلفة.. ففي واحدة منها تحدث المشاركون عن إبداع وعالمية الشاعر نزار قباني باعتباره قامة شعرية سورية تخطت محليتها من خلال المستوى الفني والفكري الذي قدمه عبر مسيرة شعرية مميزة ومثيرة.

وقد قام أحد المشاركين بإلقاء قصيدة كتبها بعد رحيل الشاعر نزار قباني، ثم ألقى عدة قصائد له بهذه المناسبة.. مشارك آخر ألقى قصيدة جميلة من عيون الشعر النزاري، وتبعها بقصيدة له لها جمالياتها.. فيما ذهب المشارك الثالث إلى إلقاء قصائد من كتابته لا نظن أنها تتميز «بكثير» من رائحة الشعر ولا بعبيره الفواح على المستوى الفني خاصة في مناسبة كهذه وفي حضور تجربة شعرية كبيرة لقامة سامقة .. وبدا لنا أن الأمسية كلها قد أعدت على عجل مع تقديرنا لجهد المشاركين ونواياهم...

وبما أن الشيء بالشيء يذكر فقد تابعت أمسية قصصية، قبل فترة، استمعنا فيها إلى نماذج من القصة القصيرة جداً، كان البعض منها يتميز بفنيته، لكن بعد انتهاء أحد المشاركين توجه له أحد الحاضرين بإشارة إلى قصة تشبه قصيدة لنزار قباني، أو مستوحاة منها، فرد الرجل بشيء من الانفعال الظاهر بأنه لا يقرأ لنزار قباني...!

شاعر دمشق الجميل نزار قباني لا يحتاج إلى تعريف فهو سلة العطر الدمشقي في قوافل القول الموزون أو المنثور كخيوط ذهبية في نسيج قصيدة متوهجة كسرت الكثير من القيود الفنية والفكرية..

# الانتماء تشكيل للوعي الإنساني

خالد حاج عثمان

الانتماء حالة شعورية يبديها المرء تجاه الإنسان أو المكان ...ولعل أشرف وأنبل انتماء هو ذلك المرتبط بالوطن والأمة والإنسانية جمعاء....

والانتماء مصدر للفعل انتمى..ومضارعه ينتمي..واسم الفاعل منتم....

والانتماء طالما هو عاطفة..والعواطف واحدة بين الناس- وجوداً فلسفياً- لاتختلف إلا بدرجتها ..وتجلياتها..

وهذه المشاعر أكثر حدة وبروزاً لدى المبدع..شاعراً..روائياً..سارداً قصصياً..فناناً تشكيلياً..موسيقياً..ممثلاً..وغير ذلك..

فما تجليات الانتماء...وصوره في الإبداع..ومختلف أجناسه..

سؤال طرحناه على مبدعين من سورية وخارجها..

وكانت الأجوبة والرؤى الآتي:..

×- الانتماء وتشكيل الوعي الإنساني

وحول ذلك تذكر الشاعرة أميرة إبراهيم من سورية:

الانتماء هو الشعور بالاندماج الكامل في المجتمع وثقافته رغم كل الظروف والتحولات التي تطرأ على هذا المجتمع، فالغربة والانتماء هما مفاهيم تتعلق بالهوية والانتماء الثقافي، ويتجلى ذلك عند معظم الأدباء الذين عاشوا حالة الغربة، وكانوا يبحثون عن الانتماء من خلال ما كتبوه من فنون الأدب سواء شعراً أم رواية أم مسرحاً أم موسيقا.....الخ

ففي أدب المهجر تناولت النصوص موضوعات متعلقة بالهجرة والانتماء والتحديات للتأقلم والاندماج مع المجتمع المحلي، هنا قد نجد صراعات نفسية وتحديات ذاتية تختلف بحسب ثقة الشخص بنفسه وقوة إرادته على الاندماج وقدرته على تخطي حواجز الهجرة والعولمة والغربة.

ولأنه أحد العناصر المهمة في الأدب العربي فقد لعب دوراً رئيسياً في تشكيل رؤية الكاتب وتوجهه الأدبي، وفي نزعاته الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية ومسألة التعريف عن تراثهم وثقافاتهم.

إذا للانتماء دور حيوي في تشكيل الوعي الثقافي والاجتماعي للفرد والمجتمع سواء أكان في الأدب أم في باقي الفنون الأخرى.

×- كلية الإبداع...

تقول الشاعرة عائشة السلامي. سورية. في مقاربتها على سؤالنا:..

الإبداع كل لا يتجزأ، ولكن هناك انقياداً روحياً خلف الهواية التي تغذي النفس فتظهر بشكل فن معين دون غيره

لأن المبدع يمتلك روحاً شفافة فانظروا للكاتب لا يمكن إلا أن يكون متذوقاً للموسيقا من الطراز الأول، وكذلك له رؤية خاصة للوحات المرسومة وهو رسام لكن بالكلمات...

الإبداع خلية متكاملة تظهر النفس البشرية في أرقى وأنقى تجلياتها، فطوبى لمن امتلك ذلك الحس الشفيف الذي يرى من خلاله كل جميل، ويتجلى انتماء المبدع فيه من خلال رسم الصور في الخيال والحوارات الدائرة مع النفس أو المرآة قد تحسب المبدع يعيش أحياناً في جنون أو في حالة من الهذيان إلا أنه يخرج بعد ذي الحالة بنص خرافي تحسبه تراتيل روحانية أو ترانيم ملائكية عزفت الفن على الإبداع

لذلك ترى في المبدع أشياء لا توجد في الإنسان العادي، فتراه يميل للوحدة ولاقتناص المشاهد من باكورة الروعات

×- الهوية الوطنية والانتماء.

×- الشاعرة هالة الغضباني من تونس.

إن اللا انتماء يطمس الهوية الوطنية ولن نخرج من الخندق و نتخلص من عنق الزجاجة إلا إذا أعددنا مشروع إنسان فـ «الشخص مشروع» لو استندنا إلى الفلسفة الوجودية السارترية ومصدر كل إبداع هو الفرد الذي يمثل محور الارتكاز في مسار الإبداع ولن نمضي قدماً إلا بمقاومة التصحر الفكري، فالفن منارة لتغيير الواقع المعيش والعبور من الهوية كانطوائية إقصائية إلى الانتماء كوحدة جماعية في زمن كرست فيه مبادئ الرداءة الثقافية لتؤسس لسياسة التمييع والسطحية واجتياح جحافل الطوطوية، فيأبى الإبداع الصمت شاهراً سلاح الفن كلمة ونظماً بكل تجلياته، فعندما تنطق القافية وتتكلم الرواية ويرسم الواقع وتتغنى المعزوفة وطناً يتعزز الانتماء وتتفاعل ثلاثية الفن والفنان والمتلقي، فتخلق ازدواجية بين عمق التمثل وثمالة التطريب مع روعة الإلقاء والإيقاع لتنتج سمفونية تحت عنوان»صدق الوعي وعمق الانتماء»مستلهمة من مفارقات واقعية وشعارات منشودة ووطن عصي على التهجين والتهجير.

لن يقتل الحلم ولن تطمس الحقيقة

في أجيال تنبت قيم الجمال وتصدح فنا فيعلو صوت الإبداع وتتجذر روح الانتماء

إذا تحدثنا عن الشاعر فإننا نناقش قضية الولاء الواعي، فالانتماء إلى الشعر هو الانتماء للوطن بهواجسه وقضاياه فالشاعر إنسان والإنسان فرد من المجتمع والمجتمع لبنة الوطن عليه أن يعالج القضايا المجتمعية ويعري زيف الواقع كخطوة أولى نحو الإصلاح، فالكلمة الحرة سلاح بما تتضمنه من رمزية /استعارة/مجاز/ تشبيه، وهذا مايعزز الانتماء الوطني ويقلص الهوة بين الشعوب بنقل الموروث الثقافي والتاريخي فكم من قافية رسخت الوعي الاجتماعي ووجهت الرأي العام للتأسيس لشعار «فرقتنا الحدود المسافات وجمعنا الشعر»..

×-المبدع يحطم قيود الانغلاق..

هكذا عبرت الشاعرة منى حبابة.سورية.... في إجابتها عن سؤال الملف:

لايتقيد المبدع بمحيطه ظروف...إنه يحطم حجراً ميؤوساً منها فتخرج في النهاية صلبة براقة

حريته تتقلص إن انتمى لجزء يسير منها يشير بقدرته يتفوق على الطبيعة بعد أن يصرف الألوان بمزاياه الفنية ويشدو مثل حلم طائر في مسرح ..يراقص بأنامله كتاباً من المعاني.. يكتب القصائد من جرح أو فرح

هناك.. مدارس تشكيلية أصحابها أسماء لامعة لكن تختلف الأماكن الروايات .من مبدع لإبداع آخر

لايوجد انتماء كامل ولا عمل حر كامل تحاصره دموع القلب ويتشتت بين الرسم والأدب والنحت والغناء..كما قال الشاعر جبران خليل جبران: أعطني الناي وغني ..فالغنا سر الوجود..

×- الإبداع

والقيم ..

الشاعرة نهى عمر- فلسطين: تجيب عن سؤالنا بقولها:

إن أي إبداع يكون له جذور وأساسات قوية يعتمد عليها الإنسان ليصبح قادراً على الإبداع أي أن يتربى في بيئة ترتكز على الأخلاق والقيم الإنسانية الراقيه والاهتمام بما يدور حوله ليصبح لديه مجموعة من المعايير يبني عليها ويتطور في وعيه وفكره من خلال المعرفه والثقافة والعلم، ومن أهم القيم حب الوطن والانتماء إليه، وبالتالي الحفاظ عليه وعلى تراثه وقيمه وأرضه وكل ما يتعلق بوطنه، وإذا كان الإنسان موهوباً مثلاً بكتابة الشعر أو غيره من أنواع الأدب أو الفنون، فإنه حتما سيظهر ذلك في كلماته التي تؤذي رسالة مهمة وتحرض الوعي الجماهيري للتيقظ وتؤجج روح الثورية والوطنية في اوقات الأزمات والحروب مما يجعل الإنسان عمودا مهما في ذاكرة وتاريخ الوطن وتثويره وتنويره، وكذلك الراوي والفنان، الإبداع المرتكز على قيم وثقافة والانتماء يصل مرحلة سامية من الرقي تبقى في ذاكرة الناس والاجيال وفي فلسطين كمثال لدينا ناجي العلي وغسان كنفاني و اشد حسين ومحمود درويش وسميح القاسم وغيرهم كثيرون ممن صاروا أيقونات بكل الكون.

×-الانتماء قيمة مطلقة..

الشاعرة زوات حمدو استفاضت بشرحها قائلة:

الإبداع...انتماء للقيم..للصدق ..للأخلاق..من أجل إيصال رسائل الأقانيم الثلاثة: الحق والخير والجمال

..لكل مبدع بعد يميزه عن غيره..ومن حق الكلمة التي كانت في البدء ألا تكون ملكاً خاصاً للذات الإبداعية..إنما يوجه بمعناها ومبناها اللذين صارا صورة عن ذاته للآخرين...بما يمتلك قدرة الانفعال وشفافية الاتصال...

....وسمة الإبداع عائدة في دلالتها الإبداعية في اسم(الله)البديع لأن الله بديع السموات والأرض..أي موجدها

....أما سمة الإبداع عن الحكماء والشعراء والفنانين تعود في دلالتها لإيحاج شيء غير مسبوق ..واكتشاف أفكار لا نهائية من نور الكلمات..التي لايحدها حد..ولا يحيط بها مدى..وإضافته ومضة مهما كانت خافتة على ظلمات ..حين يحتضن جلال الليل ليحاكي بأطيافه أرواح وذوات الناس..ويأخذهم من آلامهم الواضحة إلى أفراحهم الغامضة...ويسعى لإنشاء مشروع كوني محوره ودائرته ونقطة ارتكازه الإنسان لتضيء به الحياة...

إذا.. المبدع أينما تضعه سيبدع ..إذ إن الإبداع هوية ملازمة له.. والتحليق في الآفاق جز، من روحه ..لا تؤطر عطاءه في قالب محدد...ولا تقيد قدراته في إطار معين..فإن الريح الثابت لا يناسبه..والصوت الممل لا يستسيغه..وصناديق الفكر المعلبة لا تنتمي له....والمطر أينما وقع ....نفع

هكذا تتبدى رؤية المبدعين على اختلاف ابداعهم ودرجته واهميته...قديمه وحديثه للانتماء..ذلك الشعور الايجابي الانساني النبيل...

# باسترناك.. صوت من الأدب الروسيّ الخالد

مها محفوض محمد

ما من متابع للآداب العالمية، إلا وله محطة عند أعلام الأدب الروسي في الشعر والرواية وغيرهما.

فما قدمته الثقافة الروسية للعالم لايمكن لأحد أن يتجاهله، مع أن الغرب بعنصريته الأن يحاول النيل من أعلام الأدب الروسي، ولكن ردات الفعل والتصدي لهذا الجحود الإنساني لايمكن تجاهله، ولهذا تعمل مراكزالدراسات ووسائل الإعلام الثقافية المنصفة على التذكير بهذا الإرث الإبداعي العظيم، وتختار بين الحين والآخر مجموعة من الكتاب والشعراء الروس، وتضيء على ما قدموه خلال رحلة عطائهم.

نقف اليوم عند أصوات روسية أنشدت على امتداد القرن العشرين شعراً وطنياً رفيع المستوى ترددت أصداؤها وملأت الفضاء الغربي من القارة العجوز إلى العالم الجديد وصدحت باللغة الروسية فوق ضفتي الأطلسي بشاعرية قل ميثلها، شاعرية وطنية ولغة قومية دفعت العديد من شعراء الغرب للسير على خطا هؤلاء واعتناق مبادئهم كما فعل شاعر المقاومة الفرنسية الشيوعي النزعة لويس أراغون.

إنهم أبناء روسيا: أخماتوف وتسفنايفا ومایاکوفسکي وبلوك وايسنين وباسترناك وماندلستام الذين كان لتجاربهم وقعاً لايزال حياً في الوجدان حيث شغلوا النصف الأول من القرن العشرين على صعيد الشعر المقاوم وفي أوروبا الشرقية ودشنوا عصراً ذهبياً لهذا النوع من القصيد في الآداب العالمية على اختلاف مواقعهم.

لقد غطى شعرهم الغنائي اللهجة أحداثاً هزت العالم شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً إضافة إلى انتقال عدوى لغتهم إلى عدد كبير من شبيبة المثقفين في أصقاع الأرض ليحصد عدداً منهم جوائز بارزة بما فيها جائزة نوبل للآداب رغم مناهضة عدد من حكام لجنة نوبل والنقاد الغربيين لمثاليات الفكر الشيوعي في تلك المرحلة.

ولد باسترناك ١٨٩٠ –وهو كاتب وشاعر روسي، عرف في الغرب بروايته المؤثرة عن الاتحاد السوفيتي الدكتور جيفاغو، لكن يشتهر في بلاده كشاعر مرموق، مجموعته حياتي الشقيقة تعد من أهم المجموعات الشعرية التي كتبت بالروسية في كل القرن العشرين، وهو رسام متميز وأستاذ في معهد الفنون، والدته هي روزا كوفمان التي كانت عازفة بيانو مشهورة، نشأ بوريس في جو عالمي منفتح على مختلف الثقافات، وكان من زوار والده الدائمين سيرجي رحمانينوف، ريلكه، وليو تولستوي، تحول والده إلى المسيحية أثر كثيراً على بوريس، والكثير من أشعاره تعكس مواضيعاً مسيحية بوضوح.

بدافع من الجو المحيط به، دخل بوريس كونسرفتوار موسكو عام ١٩١٠ م، لكنه سرعان ما ترك الكونسرفتوار ليدرس الفلسفة في جامعة ماربورغ، رغم نجاحه الدراسي إلا أنه رفض أن يعمل في مجال تدريس الفلسفة وترك الجامعة عام ١٩١٤ م، وهي نفس السنة التي أصدر فيها ديوانه الأول.

قصائد باسترناك الأولى أخفت ولعه بأفكار كانت، وأظهر نسيجها المتميز قدرته على استخدام نوع من التباين في المعاني لكلمات متجاورة ومتشابهة في البناء اللغوي.(و هو نوع معرف في الشعر الروسي ويشبه السجع عند العرب ولكن التشابه يكون في بداية الكلمات)، استخدم باسترناك كذلك لغة يومية، وتقارباً كبيراً من شاعره المفضل ميخائيل ليرمنتوف.

خلال الحرب العالمية الأولى، عمل باسترناك ودرس في مختبر للكيميائيات في الأورال، وهي التجربة التي ستقدم له مادة أولية خصبة سيستخدمها لاحقاً في (دكتور زيفا و)، على العكس من الكثيرين من أبناء طبقته وأصدقائه وأقاربه الذين تركوا روسيا بعد الثورة البلشفية، فإنه بقي في بلاده وقد أبهرته شعاراتها وهزّه حلم التغيير عبر الثورة.

لم يكن باسترناك وصديقه الودود ماندلستام وحدهما من أبدع الغنائية الشعرية واهتم بالسياسة الدولية فقط إنما شاركهم في اهتماماتهم تلك صديقهم شوستاكوفيتش وانصرفوا جميعاً لتمجيد الثورة الروسية والمبادئ الشيوعية فكان الثمانية يشعرون بأنهم يحملون رسالة وطنية مفادها أنه على الشاعر أن يتكلم بلسان الذين لم يمن الله عليهم بتلك الموهبة وأن على الشاعر أن يحرر العالم من العبودية كما حاول باسترناك في مجموعته «شقيقتي الحياة» على سبيل المثال،،والتي طبع منها ١٠٠٠ نسخة عام ١٩٢٢ وجعلت منه أشهر شعراء عصره ولم يكن قد تجاوز الثانية والثلاثين عاماً ويومها تلقفته الشبيبة الناطقة باللغة الروسية على امتداد أوروبا الشرقية وكان ماندلستام هو الشاعر الأشهر في تلك المرحلة وهو رفيقه وتوءم روحه.

التزم باسترناك بالتيار الشيوعي الثوري في تلك المرحلة وانضم إلى اتحاد الكتاب السوفييت وكان ممثلهم في مؤتمر الأدباء المناهضين للفاشية الذي نظم في باريس في حزيران ١٩٣٥ ليغدو رفيق درب الشيوعيين والصديق الحميم للشاعر شوستاكوفيتش صاحب المجموعة الخالدة «غناء الغابات» وانكب باسترناك على التغني ببلاده وكفاحها وتصديها لجحافل النازية التي أرادت احتلال أرض بلاده ذات الأمجاد العتيدة.

اشتهرت روايات باسترناك بالرمزية ف (لارا البطلة) رمز روسيا الرائعة الجمال والتي تنازعها حب ثلاثة رجال يمثلون السلطة والثروة والمفاهيم الشعبية وطبيب الرواية الفعلي في «د. جيفاكو» هو رمز الديانة المسيحية الروسية غزيرة السخاء بروحها وتفانيها كما يمثل جيفاكو مأساة الشعب الروسي المصلوب على مذابح العبودية والاسترقاق وبها فاز باسترناك بجائزة نوبل عام ١٩٥٨ ليثير حسد نابوكوف وليعيد كثيراً من الأمجاد الأدبية الروسية.

# على شرفة الصبح

رجاء شعبان

يقول: كيف حالك...
أقول لا حال لي من دون أحوال القضية....؟
والقضية الآن في حالٍ رزيّة...
تحت القصف تتمزّق..!
يقول تلك القضية لنا كلّنا نتابعها
لكنّنا نريد قضيّتك أنتِ
« ولو فهموا دقائق حبّ ليلى.. كفاهم في صبابتها اختبارا
إذا يبدو امرؤٌ من حيّ ليلى.. يَذِل له وينكسر انكسارا
ولولاها لما أضحى ذليلاً... يقبل ذا الجدار وذا الجدارا
إلى أن صارت غيباً في هواها.. يشير لغيرها ولها أشارا»
....
نعم يا ليلى.. نعم يا غزّة... تختلف الأسماء والمعنى واحد
فكيف إذا عرف الحبيب أنّ الحبيبة تُباد.....؟
وهو يقبّل بعيداً عنها ذا الجدارَ وذاك الجدارَ
أيُّ معنى للحياة من دون ليلى...؟
بغياب ليلى...! برحيل ليلى!
بتأوّهات ليلى تحت الأنقاض..
ولا أحد يعلم ما يُعتَمل بها إلا الله وملائكته..
التي تصلّي على أرواح وموت يموت...!
وروح تنهض لتحيا...
لتشكو ذا الجدارَ وذاك الجدارَ لحبيبٍ تخلّى
وانشغل في انشغاله بحبّ ليلى عن تعذيب ليلى..!!!
يا ليلى انهضي... يا غزة اقذفي بالشّرر للعرب...
مضارب بيتك.. وحرّاس خيامك...
ينوحون باللغو والحسرة يبكون..
على ظالمٍ سرقك وسط الضوء وغدر بك من مطلع الليل إلى آخره...
يغتصبك ولا من يقدر معترضاً أن يعيد شرف الصبيّة المباح لعهر الجنود...
يا ليلى ستنقمين بالصمت والصوت عليهم...
وتلعنين لغاتهم لأبد الآبدين...
وستتحولين من شهرزاد الحكاية
إلى شهريار الذبح للحبيبات..
إذ لم يعد حبيب لكِ وعندكِ...
ستفعلين الثورة على الكذب والزيف..
وتنقضّين على كلّ العدو تخلعين له أنياب الشره والجوع
يا غزّة يا لحماً طريّاً ناعماً كالأطفال...
هل بك ماتت القضية... هل لأجلك تشتعل القضية؟
يا غزة السّهم في الجسد البشري وفي جسدي...
قولي لليلى حانيّتك الحانية في روحك..
أنا وأنت واحد من ذاتِ القضيّة
فلا فرح من دون قلبك...
يادم الأحباب نحن دمك المشتعل في العذاب...
سنبقى على شرفة الصبح ننتظر ذاك الفارس السماويّ المقدام...
الذي سيريهم سوءتهم هم...
وأنهم ما اغتالوك أنت بل اغتالوا شرفهم
وبانت سوءتهم لهم وحدهم تبقى...
ونحن قضينا في الروح...
روح ليلى العامرية العامرة بالوجد والأغنيات الوجودية...

# قراءات في اللامنتمي

علي حبيب

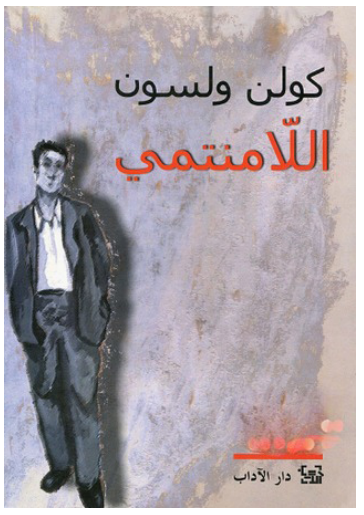


ربما يكون كتاب اللامنتمي لكولون ولسون من أشهر الكتب العالمية التي لاقت ومازالت صدى طيباً كيف يقرأ الباحثون ما في هذا الكتاب وإلى أين يصل بنا اللامنتمي يقول أنس زكي حسن عنه:

إن هذا الكتاب لهو مثال صريح عن مفهوم القراءة التحليلية في موضوع واحد وقد نختلف في مدى دقة الموضوع.. هل هو حقاً اللامنتمي ؟ أم هو بحث عن الفلسفة الوجودية خاصة أن ولسون هو أحد مؤسسي الوجودية الحديثة.

بغض النظر عن مدى صحة النتائج التي توصل إليها ولسون في نهاية هذا البحث أو مدى صحة الاستدلالات التي أتى بها.. لكن، يظل هذا الكتاب بحثاً يستحق الإشادة في الفلسفة الوجودية.

من أهم ما يثير الاهتمام في هذا الكتاب هو كونه صادراً عن رجل لا أكاديمي.. فقد سبق أن ذكرتُ أن ولسون لم يذهب إلى الكلية أبداً. بل هو شاب حدث له أن كان قارئاً نهماً.. ثم خطر بباله كتابة هذا الكتاب في أحد الليالي كما يفعل أي منا حين يقدم على كتابة مراجعة لأحد الكتب !

إن هذا الكتاب هو أشبه ما يكون بمراجعة ضخمة جامعة لعدة كتب في آن واحد.. وقد شاء الكاتب أن تحمل عاملاً مشتركاً أو بالأحرى أن يُنظر لهذه الكتب من وجهة نظر وجودية.

من الجدير بالذكر أنه يتفق وصف هذه المشكلة الموصوفة في هذا الكتاب والتي أسماها ولسون باللامنتمي بالمشكلة المعروفة في علم النفس والتي تحدث عنها إريك فروم وسماها بـ «الانفصال» وما هو اللامنتمي إلا طريقة فريدة كرد فعل بشري على هذه المشكلة.. كنتُ قد تحدثتُ سابقاً كثيراً عن هذه المشكلة في مراجعات سابقة عن بعض الروايات التي جاء ولسون على ذكرها كالجحيم لباربوس ودوميان لهيسة.. وحتى تلك التي لم تكن في زمان ولسون كقواعد العشق الأربعون.

وما يثير الاهتمام أيضاً في هذا الكتاب أن السيد ولسون يؤكد على ترابط «التصوف» مع الفلسفة كنتيجة نهائية مطروحة كحل للامنتمي.. ومن المهم هنا أن نذكر بأنها ليست الحل الوحيد أو ليس بالضرورة الحل الصحيح -إن كان ثمة ما هو شيء كذلك- وهذا شيء موجود كذلك في طرح إريك فروم عند حديثه عن مشكلة الانفصال حيث طرح فكرة ترابط التصوف مع الفلسفة كنتيجة أو كحل لمشكلة الانفصال.

ولا بد لي من أن أعلق على بعض التناقضات التي وجدتها في تفسير ولسون حيث أنه يقول بأن الغرور هو سلاح اللامنتمي ضد الجنون.. أي أنه طريقة دفاع اللامنتمي كي لا يقع في دوامة الجنون مستدلاً على ذلك بحكاية نجنسكي؛ راقص الباليه الروسي الشهير.. والذي اضطر أن يكون عشيقاً لدياكيليف كي يتمكن من أن يعيش ! ويمكننا القول عن نجنسكي أنه رجل رومانسي «كسير» اضطر لتسليم جسده لدياكيليف حتى يستمر في الحياة ثم هرب منه وتزوج في نهاية الأمر من راقصة مماثلة.. وما أن سمع دياكيليف بالأمر حتى أبرق إليه أنه مفصول من فرقته.. ويمكننا التعليق هنا بناءً على المعطيات التي قدمها ولسون أن نجنسكي قد ضاق ذرعاً من معاملته كطفل موهوب لا عقل له.. وذلك في إشارة لدور الوصاية التي كان دياكيليف يقوم به على نجنسكي والذي حسب وصف ولسون كان يتصرف وكأنه «زوج» نجنسكي.. لو كان نجنسكي شاذاً لهرب ليقيم علاقة مع رجل آخر على سبيل المثال لكنه هرب ليتزوج من فتاة راقصة مثله.. ما يهم هنا هو أن النفس الضعيفة لنجنسكي لم تتحمل معضلة اللامنتمي فهربت إلى الدين قبل أن تسقط في الجنون.. لكن، نجد في المقابل نيتشة على سبيل المثال.. لم يكن ينقصه الغرور.. لكنه سقط كذلك في دوامة الجنون في نهاية الأمر.. ونجد هنا أن الغرور لم ينفع نيتشة في شيء.

لقد شمل ولسون في هذا الكتاب أدباء كباربوس وويلز وشيكسبير وتولستوي ودوستويفسكي وكافكا وهمنغواي وإليوت وغيرهم.. وشمل أيضاً رجلاً كلورانس العرب.. وراقص باليه «نجنسكي» وفلاسفة كنيتشة.. وفناناً كفان غوخ.. أي أنه لم يقتصر فقط على الأدباء.. بل تعداهم.. وهذا لربما يتفق مع طرح ولسون في كتابه الآخر «الإنسان وقواه الخفية» أن هذه الفئة من الناس -أي الموهوبين- هم الأقدر على توليد الحاسة «س» وقد أشار ولسون في كتابه هذا عن قابلية اللامنتمي لأن يرى «رؤى». وعن نفسي أتساءل: لم لا نجد ردة فعل مشابهة لدى من يملك خلفية علمية؛ أقصد لم لم يتحدث ولسون عن عالم كيميائي على سبيل المثال.. أو فيزيائي كأينشتاين.. هل اللامنتمي هو شيء خاص بالموهوبين في مجالات لا علمية؟.

أتفهم تماماً استقبال النقاد لهذا الكتاب ودهشتهم بالمحتوى والكاتب.. ولربما يكون الكاتب كمثال يحتذى لمحب خالص للعلم دون دراسة أكاديمية.. وأتفهم النقد والسخرية التي تعرض لها خاصة على كتابه «الإنسان وقواه الخفية».. وبعض الاستدلالات في كتابه هذا كذلك.. وقد تعرضتُ لهذه النقطة في حديثي عن «الإنسان وقواه الخفية».

إن لامنتمي ولسون لا يبدأ من سؤال من أين هذا الكون ؟ إنما من سؤال من أنا ؟ وما الغاية من وجودي ؟ ولكل فرد رحلته لإيجاد جواب وليس بالضرورة أن يستحيل المرء لا منتمياً في تلك الرحلة إنما تستحيل فقط فئة دون غيرها وقدم ولسون تفسيراً من وجهة نظره عن من هم هؤلاء.. وقدم كذلك حلولاً مقترحة وهي ببساطة أن تجد حقيقة نفسك.. أياً كانت الطريقة؛ الدين، التصوف، أو لربما الارتداد لدين الفطرة كما كان مع جان جاك روسو.. ما يهم هو أن يتوقف اللامنتمي عن كونه لامنتمياً لينتهي إما سعيداً أو قديساً.. وكما أشرنا سابقاً هو طرح مشابه لما كان في علم النفس مع مشكلة الانفصال.. الفارق هنا هو كون اللامنتمي هو من فئة معينة فقط من البشر.. بينما قد يعاني أي بشري من الانفصال.. وعن نفسي أميل أيضاً لترجيح ذلك.

الخلاصة، الكتاب مهم رغم توزيعه السيء وصعوبة طرحه فهو بكل تأكيد ليس بالكتاب السهل في القراءة.. خاصة مع تقسيمه إلى فصول دون عناوين فرعية وحجم كل فصل حوالي ٥٠ - ٧٠ صفحة ! ونحن نتحدث عن فصول مكثفة تتحدث عن ما لا يقل عن ٥ كتب.

# سابح في عضل اللغة

بادر سيف

أيتها اللغة يا شظايا من طين
سماء توشحت
بجحيم القبل وبلاغات السقوط بمرزبة
الطيش ...
أيتها اللغة الساكنة بجمجمة الأزرار المبهمة
كي أعثر على بقاياك المتفحمة
أفكك غابة الشبهة
أخاصم فولاذ الشك
أرده هشاشة البسيطة الموشحة
بمسرح صور
يا هول الطريق إلى غرائب الزمن
الملبد من عوالم دب فيها
خبل العناصر
المكثفة
الشاردة
ولكي أفصح عن آدمية بنشوة عابرة
أجتاز مسام المرآة ودبابيس
الأعراس لتزهر الأرض بليل يسكنه
غبار النجم
وحين تهيج غرائز الاشتياق
ألطف من بدوية الضوء
ليستقر بلباس الأمسيات المنهكة
وأنا كذلك
سابح في عضل الهبوط إلى غياهب
الغيب ...
أرتب ظنون الريح المدهشة
لأرانب الفلك
أكسر ثدي التاريخ المبلل لسجاد
السائلين عن مثنوى الأسماء
وتفاحة من عهود الترحال
بسياج المنع
أرضع غواية الجراح الساكنة أشلاء
اليتم ...
أبسم باب الأبجدية المنهك
وأنا كذلك
محتقن بأسئلة الصمت
أرتب جثث الصوت النامي على حائط الفلك
ولها الأرض مشيئة اللقاح
زعفران الأرض
لتحتضن نبوءات الصلابة وطفولة الأهداب
ومن كتاب الشمس استل جموح
العصف
أسكنه غمد التكاثر و تناسل الحرب
بأرض تبذر عطر منشمها
ومثل نسق بجعبة اللفظ المدور بأحمر
الشفق المدلهم
أنسل عبر شباك الأسماء
إلى حقل الطفولة ومطبخ الدهشة
أفكك صخر الموت الجاثم بهاوية
الدم ...
أيتها اللغة يا فلك الآباء
يا سيدة كون من فاكهة الأجساد
المتراصة بمقابر الخلود
هل أفسر تياهة الوحدة وفق مشارط الختم
ثم الهب دفاتر العشق بتسانيم
العفن...
أم أصيغ مدني بأغاني الحماسة
وأوجاع الريح
كي أفجع طرائد الزيتون المكور بمناديل
الشعر؟
أيتها اللغة يا هول المنصات الناتحة
لغضب الله
لأنصت إلى تزاحمك وجاذبية الأنواع
الآهلة بمسارح الطرائد
بقصعة الزمن
فانا صائد للرمل
أرتل قرب غدير الغطاءات الممدودة
مزق الآهات
وأدران اليوم أرتق صبر الزهر
إذا بلغ سن الحقيقة.

من العالم

# مفهوم الانتماء بين مبدأ الهوية وبناء الشخصية

وفاء يونس

كيف يمكن قراءة الانتماء بين الوطن والهوية والشخصية والى أين يصل الجدل بينهما هذا ما يحاول معاذ حسن أن يجيب عليه، إذ يرى أنه بداية لا بد من التوضيح، وبما له علاقة بسياق وفكرة هذا المقال، ما هو الفرق بين مفهوم الهوية بدلالاته الفلسفية التي تحيلنا إلى مبدأ الهوية في المنطق الصوري الأرسطي، ومفهوم الشخصية بما يعنيه من نمو وتحول وتشكل دائم.

فمفهوم الهوية، على ما افترض هنا، يعني الجوهر والثبات، وهاتان الصفتان تلخصان النظر الميتافيزيقي للكون والوجود.. بينما مفهوم الشخصية يلخص التشكل التاريخي والطبيعي الواقعي للفرد أو المجتمع أو الفكرة أو الأمة.

وبما أن الجوهر الثابت معطى أبدي قديم، فالماضي تبقى له راهنيته الحاضرة بقوة ولو بالشعارات (ذات رسالة خالدة). أما التشكل التاريخي المستمر، فالمستقبل المنشود انطلاقاً من الراهن يكون بمثابة البوصلة التي تحدد مساره، دون أن يعني ذلك التنكر للماضي أو تجاوز دراسته ومعرفته في سياقه التاريخي الصحيح.

الهوية تلغي التعدد والكل لصالح الواحد.. أما الشخصية فتولد وتنمو عبر جدل دائم بين الواحد والكل، وتتطور عبر الحفاظ على التعدّد الغني داخلها.

لذلك أزعم أن مفهوم «الشخصية»، بما يحوي من دلالات التعدد والتكون والتشكل الدائم والنسبية، قد يكون هو الأنسب للدلالة والتعرف على مجموعة بشرية متعددة الانتماءات العرقية والإثنية وتعيش على أرض واحدة ويجمعها مجال جيوسياسي واحد وثقافات متقاربة فيها عناصر تاريخية مشتركة. وعلى هذا الأساس من النظر يمكن القول إن مفهوم «الشخصية» يعيننا أكثر في فهم المكونات المتعددة لهذه المجموعة البشرية، ويتيح لنا إمكان إنتاج اللاحم الحياتي، الحداثي الجديد، الذي يجمعها ويربطها في دولة أو وطن.

وهكذا لا أعتقد أنه يمكن الحديث بشكل علمي دقيق عن جوهر ثابت لشعب من الشعوب، لا سيما منذ بداية زمن الحداثة وصولاً للحظتنا العالمية الراهنة، حيث العالم نوافذ مفتوحة على بعضه بعضاً في التلاقي كما في الحوار.

فلا العربي ولا السوري ولا اللبناني ولا المغربي ولا التونسي ولا الكردي ولا الأمازيغي...إلخ يمكنهم الحديث عن هوية واحدة ثابتة ومستقرة عبر التاريخ لأي منهم كي يميز جوهره العرقي الأصيل عن الآخر، إلا من خلال ذاكرة جماعية تاريخية خاصة تكون على الأغلب متداخلة ومتشابكة مع ذاكرة جماعية تاريخية أكبر وأوسع لمجموعة كبيرة من الأقليات الأخرى أو الأكثرية العرقية والقومية التي تعيش في ظل عيش مشترك عبر التاريخ في بلد واحد.

لذلك فأصحاب الدعوات القومية والعرقية القديمة، لا سيما من قبل الأقليات القومية في منطقتنا، يستهويهم كثيراً مصطلح «الهوية» لتمييز ذاتهم بنقاء ثقافي عرقي ثابت عبر الزمن عن المكونات الأخرى المتعددة أو عن الثقافة الجامعة عبر التاريخ، لحاجتهم له من أجل تأسيس مشروعية تاريخية لفكرة وخطاب المظلومية الشديدة، التي عانوا منها من قبل الثقافة المهيمنة، وهي الثقافة العربية الإسلامية كما يدعون، مع أن فلسفة ومنطق العلوم الإنسانية الحديثة جميعها تجاوز كثيرًا جداً وبعيدًا أسس المنطق الصوري القديم الذي يعتمد مبدأ الهوية في جوهرها الثابت، باتجاه مناهج العلوم التجريبية - البحثية بمعطياتها الوضعية واليومية أو التاريخية المتغيرة ونتائجها النسبية المتحولة.

أما فكرة «العروبة» بدلالتها التاريخية والثقافية، كلاحم مجتمعي ثقافي عريض، وكتعبير عن مشروع بناء شخصية جديدة جامعة تتطلع نحو المستقبل فعلاً، فأزعم أنها لا تستمد مقوماتها اليوم من مشروع سياسي كما بدأت أوائل القرن العشرين في فكرة «القومية العربية» وأحزابها التي تشظت وتراجعت كثيراً، وإنما من تجربة حضارية طويلة ما زالت مدوناتها الفلسفية الفكرية والأدبية الثقافية مجالاً مفتوحاً للبحث والدراسة في الشرق والغرب، وتختزل ذاكرة ثقافية جماعية مشتركة ساهمت في إنجازها أغلب شعوب هذه المنطقة بكل تعددها القومي والديني سواء المهزوم فيها أم المنتصر فشكلت مع الزمن واقعا ما زال راهنا حتى اليوم، هو ما يمكن أن نسميه «منطقة الثقافة العربية الإسلامية»، التي تعتمد أبجديتها في الكتابة والقراءة حتى اليوم ملايين من شعوب متعددة تقع بين أواسط آسيا في (الباكستان أفغانستان إيران) شرقاً، وحتى المغرب العربي في شمال أفريقيا غربًا، الأمر الذي يحتاج إلى مقال أو بحث مستقلين.

الهجوم المستمر على إرث

ما دفعني إلى كتابة هذه السطور هو ظاهرة خطيرة ملفتة للنظر مستمرة في مجتمعاتنا العربية اليوم، بدأت بالانتشار منذ سبعينيات القرن العشرين وتحديداً عشية الحرب الأهلية اللبنانية، وهي دعوة العديد من (شخصيات وأحزاب) شعوب هذه المجتمعات للعودة إلى أصول هوياتها التاريخية القديمة الموغلة في القدم، والتنكر لإرث حضارة طويلة وعميقة الجذور عمرها يزيد على ١٤٠٠ عام كالحضارة العربية الإسلامية لا سيما في حوض البحر الأبيض المتوسط.. ويتناسى هؤلاء حقيقة تاريخية علمية، هي أنه لا وجود في سيرورة المجتمعات البشرية لنقاء عرقي أو إثني أو ثقافي صاف مستمر إلى الأبد.. فالمجتمعات البشرية في حالة تشكل دائم بتأثير عوامل عديدة أهمها الغزوات والحروب وما يرافقها من تهجير قسري في الأغلب منها، وما ينتج عنها أيضاً في حالات كثيرة هو تجمعات بشرية ثقافية جديدة متنوعة ومتعددة العطاءات.

هكذا هو الأمر في أوروبا وفي جنوب شرق آسيا وفي القارة الأميركية وكذلك في الشرق الأوسط وبالتحديد منه في الشرق الأدنى أي منطقتنا العربية الحالية.. فكيف يمكن التنكر لهذه العملية التاريخية الطويلة والمعقدة وتجاوزها ببساطة ليس لصالح دعوات مستقبلية وإنما لصالح العودة إلى انتماءات تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد؟!.

في لبنان منذ عشية الحرب الأهلية فيه، كانت دعوات إلى أصل لبنان الفينيقي، واستفحلت بعنصرية بغيضة ضد كل هو عربي أو حتى لبناني معتدل طيلة الحرب حتى خبت كثيرًا بعد انتهاء الحرب.

واليوم في سورية ثمة دعوات كثيرة تماثلها، خصوصاً عبر مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) تطالب بالعودة إلى أصل الهوية السريانية للشعب السوري بالكامل مع اتهام المرحلة العربية الإسلامية فيها بالغزو والقتل فقط، متناسين الإشعاع الثقافي والفكري والعلمي الذي كرسه الوجود العربي الإسلامي في سورية منذ القرن السادس الميلادي والدور الهام الذي لعبه مترجمون مسيحيون سريان عملوا في خدمة البلاطين الأموي والعباسي عندما نقلوا فلسفة أفلاطون وأرسطو من اليونانية إلى العربية باهتمام خاص من الحكام المسلمين والعرب الذين استوعبوا أصحاب هذه الخبرات والكفاءات ومكنوها مع أهلهم السكان الأوائل دون إكراه أو قتل وتهجير، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عبد المسيح الحمصي، حنين بن إسحق، إسحق بن حنين، قسطا بن لوقا البعلبكي، يوحنا بن ماسويه ... إلخ. ويكفي أن نذكر أن «بيت الحكمة»، الذي أنشئ في زمن الخليفة هارون الرشيد (٧٦٣م - ٨٠٩م)، كان ملتقى وصلة وصل بين المترجمين سريان وغيرهم، كما بين المعلمين والمتعلمين.

أيضا ثمة كلام يتواتر كثيرًا منذ فترة حول هذا الموضوع، في حوارات متلفزة على لسان مثقفين مهمين أو جماعات حقوقية أو منظمات سياسية من مشرق المنطقة العربية إلى مغربها تتقاطع جميعها حول فكرة رئيسة مضمرة، وهي ضرورة الخلاص من إطار هيمنة الثقافة واللغة العربيتين والعودة إلى لغات وثقافات وأصول وهويات قديمة في المنطقة تعود إلى ما قبل الوجود العربي الإسلامي فيها، كالأمازيغية في المغرب والآرامية أو السريانية والكلدانية والأشورية في دول المشرق لا سيما في لبنان وسورية والعراق.. وأذكر جيداً حوارًا شاهدته على الفضائية الفرنسية (فرانس ٢٤) منذ شهور قليلة مع بعض المثقفين والحقوقيين الأمازيغ من الجزائر والمغرب، الذين يتباهون بأصلهم وهويتهم الأمازيغية التي تقوم على عادات وتقاليد قديمة راسخة، وهذا حق لهم يجب احترامه بالتأكيد، لكن ما استفزني في بقية الحوار هي عودتهم إلى نغمة الكراهية والعنصرية بحق العرب، كما ردها ويرددها غيرهم اليوم في بلدان المشرق العربي.

فالعروبة بنظر أغلبهم مجرد وهم وكذبة كبيرة، لأن العرب مستعمرون وما عليهم سوى العودة للجزيرة العربية التي جاؤوا منها!

أريد أن أسأل أصحاب هذه الدعوات الضيقة والبعيدة عن علوم الاجتماع والأنثربولوجيا والسياسة والفهم التاريخي الصحيح: إلى أين تريدون أن نصل معكم؟ ما الفرق بين دعواتكم هذه ودعوات السلفيات والأصوليات الدينية المفرطة في التكفير والإقصاء فالإلغاء وفتاوى القتل؟

لماذا هذه الدعوات اليوم

وما هي أهدافها وحقيقتها؟

يبدو أنه في زمن الأزمات أو الانفجارات المجتمعية الكبيرة والثورات يجد أصحاب هذا التفكير العرقي العصبوي الماضوي القديم فرصتهم الذهبية السانحة لتصفية حساب نهائية مع مخزون الثقافة الأقوى، التي تشكلت عبر التاريخ بمشاركة وتفاعل كل التعدد الموجود في سياق حضاري تاريخي طويل.. وبالتالي فإن ظهورهم يوازي ظهور التيارات الدينية الأصولية المتزمتة وحركاتها الجهادية، كتعبير مزدوج عن أحد أخطر مظاهر الأزمة الحادة في المجتمع، كحوامل لإرهاصات الثورة المضادة داخل الانفجار المجتمعي الحاصل، مع فارق أن أصحاب هذه الدعوات للهويات التاريخية القديمة لا يستحوذون على المقدس الديني أو أيديولوجية دينية جهادية تمكنهم على جمهور عريض، فيكون هدفهم الأول باتجاه الثقافة العربية ولغتها، ماضيا وحديثا. وهدفهم الثاني يكون باتجاه الدين الإسلامي كمخزون استراتيجي لهذه الثقافة ولكل الحركات السياسية للقومية العربية ولفكرة العروبة تحديدًا، تحت غطاء خطاب مدني علماني في الشكل لكنه متعصب عنصرياً وماضوياً في العمق والمضمون، وتلك هي نقطة اللقاء المشترك بينهم وبين التيارات الدينية والإسلامية التكفيرية المتشددة، خصوصاً أن الطرفين يحمّلان فكرة «القومية العربية» مسؤولية التشظي والانهيارات المجتمعية الكارثية الحاصلة، بسبب هيمنتها الطويلة سياسياً منذ منتصف القرن العشرين، سواء من خلال أنظمة حاكمة باسمها، أو من خلال أحزاب وشخصيات عملت ونظّرت للعصبية العربية وهيمنتها على المكونات الأخرى كما يقول الطرف الأول، أو بسبب الجانب العلماني المتعارض مع الشرع الإسلامي كما تقول الجماعات الإسلامية.. وكل ذلك دون أن يدققوا جيدًا ويفصلوا علمياً بين الفكرة، التي ظهرت في لحظة زمنية حديثة أوائل القرن العشرين بعد الخروج من إطار اللاحم «العثماني» الإمبراطوري السابق المنهار، كحاجة مجتمعية ماسة آنذاك ولم يكن ثمة بديل غيرها كلاحم حداثي جديد، وبين المآلات اللاحقة لها على يد الحاكمين باسمها أولا ثم تحولوا إلى مستبدين طغاة هزموا مجتمعاتهم ودمروها لأنهم صاروا يحكمون لصالح تحكمهم ومصالحهم الخاصة فقط.. ولعل هذا هو مآل أغلب الأفكار العظيمة عبر التاريخ، حتى العقائد الدينية منها، عندما يتحكم باسمها حكام يتحولون إلى مستبدين، والأمثلة كثيرة في التاريخ القديم والحديث ولا ضرورة لاستعراضها في سياق هذا المقال الموجز.

بهذا الخصوص يقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (١٨٤١ - ١٩٣١م) في مقدمة سِفره الضخم والمهم «حضارة العرب» الذي نشره عام ١٨٨٤م: «وتأثير العرب عظيم في الغرب، وهو في الشرق أشد وأقوى، ولم يتفق لأمة ما اتفق للعرب من النفوذ، والأمم التي كانت لها سيادة العالم، كالأشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان، توارت تحت أعفار الدهر ولم تترك لنا غير أطلال دارسة، وعادت أديانها ولغاتها وفنونها لا تكون سوى ذكريات، والعرب، وإن تواروا أيضاً، لم تزل عناصر حضارتهم، وإن شئت فقل ديانتهم ولغتهم وفنونهم، حيّة، وينقاد أكثر من مئة مليون شخص مقيمين فيما بين مراكش والهند لشريعة الرسول».

فكرة العروبة كتعبير

يمكن القول إذًا إن مصطلح الهوية يعيد تأكيد وتجديد بناء الاصطفافات الماضوية القديمة، دينية كانت أم زمنية، مما يؤدي إلى تعميق تمزق النسيج المجتمعي الحاصل اليوم وشرعنته تاريخيا.. بينما مفهوم الشخصية يقوم على فكرة إيجاد لاحم مجتمعي جديد لكل الهويات القديمة، مع التفكير ببناء مقومات هذا المجتمع الجمعي الجديد في سياق نظرة مستقبلية.

لذلك فإن العروبة كتعبير عن الشخصية المجتمعية الجديدة - كما أفترض هنا - تعني ثلاثة أمور أساسية:

أولاً: الوفاء لذاكرة تاريخية حضارية ثقافية فكرية قديمة يحق لنا جميعا بكل تعدد مجتمعاتنا العرقي والقومي أن نفخر بالمساهمة في إنجاز صفحاتها المضيئة يوما ما.

ثانياً: إنجاز قطيعة مع كل الجوانب والحقب المظلمة، وخصوصًا المتأخرة من هذا التاريخ، والتي صار استمرارها عبئاً على الحاضر وعقبة أساسية كبيرة أمام التقدم صوب المستقبل.

ثالثا: الاشتغال الجدي على العمق الثقافي التاريخي الكبير لفكرة العروبة، كفكرة جامعة تقف في وجه التفتت الطائفي والإثني الجاري حالياً، في سياق إقلاع جديد وقوي لفكر عربي تنويري نهضوي متعدد الجذور والثقافات، يحترم بدوره كل التعدد الثقافي والعرقي الإثني في المجتمعات العربية الراهنة، ومستفيداً بذات الوقت من مجمل إنجازات الثقافة الإنسانية، وعلومها الراهنة، فالثقافة هي السلاح الاستراتيجي الحضاري الوحيد المتبقي لنا للدخول الفاعل في قلب العالم الحديث والمعاصر.

والعروبة على هذا الأساس تكون تتويجاً لعملية انتقال من حالة بداوة رعوية قديمة لكل شعوب وانتماءات هذه المنطقة، التي عادت وبكل أسف لتعبر عن ذاتها إما بهويات إثنية عرقية قومية أو مذهبية طائفية وقبلية، مغلقة باردة وجافة، إلى حالة مجتمعية متعددة حضارية خصبة فاعلة ونشيطة.. إنها كيمياء مجتمعية ثقافية جديدة تتفاعل فيها ثقافات وإرادات كل العناصر المؤلفة، كل بقدر حجمه وإمكاناته وكفاءاته المميزة، لتؤلف عنصراً جديداً أقوى وأجدر بالبقاء.. وهذا ما أعتبره بناء شخصية مجتمعية جديدة باتجاه المستقبل.

# قطوف

ابراهيم عباس ياسين

١

هوَ الحبُ :
كيف لقلبي المُشرّدِ كالريحِ ..
أن يستريحَ ؟
وما عاد إلا لعينيْكِ حُبُ .
وأشهدُ أني أحبكِ ماانشقّ فجرٌ ..
وما آبَ طيرٌ ..
أو اخْضَرّ عشبُ
وأن يَدَيْكِ ابتداءٌ لروحي
وللقلبِ قلبُ
ومازالَ حيث تركتِ خُطاكِ ..
على شاطئ الليلِ ..
بالضوءِ يورقُ دربُكِ
وتشهق كل النجومِ إذا رفّ هُدْبُ
٢
في هذا الليل الطويل، الطويل..
الموحش..
هذا الليل الذي لايشبهُ الصحراء..
ولا البحر
الأشدّ حلكةً من وجوه الطغاة
الأكثر وحشةً من كهوف الجبال..
والمقابر
سأخلع قلبي .. وأقذفه في الهواء
مثل رمّانةٍ موقوتة.
قلبي الذي يشبه طيراً ضائعاً
وحيداً ومنعزلاً
في ظلام هذا الليل الطويل..الثقيل .. الموحش .
٣ في غيابكِ ..
تتناثر أنجمُ الليل ..
كالمصابيح المُهشّمة،
والغيوم تلملم أثوابها..
في حقائب الرياح و.. ترحل .
تخلع الأشجار - في غيابك - قمصانها،
ويتراجع البحر عن اليابسة.
وكل شيء، كل شيء، في غيابك
باردٌ كالموت
وشاحبٌ كالصدى.
٤ كفَراشٍ حائرٍ أغتالني صمتاً
غواياتٍ وشوقا
أتقرّى في اغترابِ الروحِ أيامي
فما عانَقْتُ لي حلماً
ولا آنَسْتُ فوقَ الليلِ برقا
لم أجدني أبداً حولي
ولا لاقيتُ نفسي، كلما فتّشْتُ عنها،
في مهبّ الشوقِ قُربي
نادني باسْمي
لكي أحياكَ نبضاً في شراييني
وحُلماً فوق هُدْبي
( ضُمّ قلبي ! )

# تجل

نصر ابراهيم

وروحُك تحدقُ في مداها
تذرفْ قليلاً من الندم لعل خطأ عينيك يتعلمُ من خطأ ركض قلبك في المنحى
حين غادَرك الجميعُ وبقيتَ وحدَك تصارعُ المجهول
وغابَ الحلمُ عن الوعي حتى جثةُ الحلم فُقدتْ في آخر اتصال
قال الأصدقاء : ستلحق بهم بعد قليل.
قال صديقٌ مقرب :
شاهدَك تعبرُ الوادي لكنك لم تصل .
هكذا أنت تتذكرُ تبكي تمسحُ الأسماء كلّ الأسماء التي لا تقاربُ نبرةَ صدقك
تذهبُ إلى حانة في الليل غريباً تائهاً
نعم في الليل أولُه آخره يطلع قمرٌ أغنيةٌ قد تكون لفيروز
تسترجعُ نشاطَ صدقك الذي رميتَه عن كاهل قلبك قبل قليل
تخضرُ ذاكرتُك تلوم الماء اليابسَ في كأسك
يقول لك نديمٌ :اذرفْ قليلاً من الندم.
يقول لك قلبُك :المعبود واحد.
تمضغُ آخرَ حبةٍ للنسيان
آخرَ جملةٍ قرأتَها في الأرشيف
في الليل نعم في الليل
أنت الغريبُ المهاجرُ ببعضِ الألم بكثرةِ التجلي

# يا أصدقاء الحياة

علم عبد اللطيف

اليوم جاءتني الطفولة بذاتها.. جاء الطفل معتمراً براءتَه وصراحتَه.. قال.
تتذكرونني في كهولتكم.. تظنون أني أستجيب لكم وأحضر لديكم اكثر من شباب غادركم للتو.. دون أن يرفّ له جفن.. لا بأس ياأصدقاء.. مازلت فيكم؟.. ربما.. لا أجزم ولا أنفي لكني أعرف أنكم لا تتذكرونني بسبب جمال وروعة طفولة لم تأبهوا لها في شبابكم.. وأعرف أيضاً ان الخرق والحمق.. وربما الشقاوة أو اللامبالاة فيكم.. هي حالات تخصكم كباراً الآن.. لكنكم ترجعونها إليّ. هكذا نعم.. هي طفولتنا ولسنا مسؤولين عما تفعله.
في عموم الأحوال أعرف وتعرفون.. أن الطفل لا ينسجم ولا يتوافق ولا يتصاحب مع حالة نقيضة له.. لحى وشوارب ليس الملامح فقط.. بل ممارسة الكبر فعلاً.. باغترابكم عني.. أنتم كبارٌ عندما تقصدون.. وأطفال حين يخذلكم القصد.. كيف؟ كنتم تلعبون لعبة الحرب صغاراً.. لعبة صغيرة بصغركم.. لا يموت فيها أحد.. وإن كانت تنبئ عن استعداد فطري سيعلن عن نفسه يوما.. الآن تلعبون لعبة حرب حقيقية.. تقتُلون وتقتَلون.. تهدمون عالمكم.. تعتدون وتغتصبون.. فهل ترضى الطفولة بذلك؟.
أوقن. أنكم تتذكرون طفولتكم في وقت بتّم تشعرون فيه بقرب الرحيل.. فتعودون إلى زمن بعيد هرباً من زمن قريب كما تحسون دون أن تعترفوا.
لذلك لا بد أن أحيي فيكم ذاكرتَكم.. أشكر حفاوتكم المصطنعة بي كصديق قديم جرّبتم أن تستعيدوا العلاقة معه إرضاء لحنين أو رغبة بإعادة امتلاك ما فات.. ولا تدركون أن لكل زمن أصحابه لا يمكنكم استعادة ما تجازتموه.
يكفيني وفاءَ. أن أنبت على قبوركم عشباً.
أشفق عليكم يا أصدقاء.. الحياة ليست للجميع..
وداعاً.
بعد ان تستمعوا لما قلته.. ستكتبون.
يقول الطفل في لدى اغترابي
إلى نفقٍ.. حملت معي العهودا
ولا أبغي مفارقتكم..... لضيقٍ
بكم أو كنتُ آتيها..... جحودا
هو العمر..... الذي يختار حالاً
به ويُقيمُ في الحال الحدودا
ومرّ بيَ الربيعُ..... وكنتُ فيه
فراشاً..... لا يفارقكم ورودا
ولن أُنسيكمُ.. الزمنَ المصفّى
وفيه كنتُ..... معطاءً ودودا
ولكني..... أفارقكم غريباً
كما فارقتمُ زمناً.....بعيدا
غريبٌ.... والغريب له ارتحالٌ
وفي الترحال أحببتُ الشرودا
سأمضي بارتحالي في ظلامي
وذا قسمي..... وربّي لن أعودا.

# ملح يهز الذاكرة

ليزا خضر

قد مرّ قحطان ..ونوافلُ الصّمتِ يباسٌ
قبل أن ينقر كعبي شعابَ نبضك..
أنا الإيقاعُ خصبُ التهجّي.. ..
ينسابُ بعدَ صبرٍ من غزال..
الريح ما الريح حين ألمّ جدائلي من عيون المدى..
وتضيّعُ الشرفاتُ مفاتيحَ الجهات..
لمعت سمرتي فبهرت أنفاس الآتي إليك..
فلا الوقتُ ينامُ.. ولا الخطى تفيق.. ..
××
يدك تلتقط كفي الواقعة في شرك الطعوم..
فيهزّ الملحُ الذاكرة..
ويتوالد البوح.. كسقاية فكرةٍ ريقاً من حنين..
وتخرجُ الأمنيات تباعاً من مهدِ جلاّبِ التمائم....
××
لم أعرف ريشةً من شقاوة الأصابع تتعب
أو بستاناً يشقى.. من لونٍ أخضر..
صواب اللون في حلكة اللحظة اعتراف..
بوحٌ لطيفٌ يهبُ الكلام الرئات..
أحس همسك من خلف جلدِ قصيدتي..
عطراً يسأل..
وكأن حكايةً قصت حبكتها ..
من لحظة البكاء..
ونزّ الدمعُ جوعاً للإياب
××
من أي صراخ جئت..!؟
كأنك السحابُ معقوداً بالوعود
وفي الأعلى تغيب ...
وعنقي سروةٌ في مهبّ الشتاء
تعرف أن ريحاً تأتي من غربٍ قريب..
جلّابةٌ للمطر..